شهادة حضور

Integrative Research
A Path for Development
البحوث التكاملية... طريق التنمية

تشهد كلية البنات للآداب والعلوم والتربية بأن

أ.د/ مصطفى عبيد

قد حضر وشارك

ضمن فعاليات المؤتمر الدولى السنوى الثالث

لقطاع الدراسات العليا والبحوث

" البحوث التكاملية ... طريق التنمية "

فى الفترة من ٢٧ إلى ٢٨ فبراير ٢٠١٩- أسوان

مقرر المؤتمر
أ.د/ مكة عبد المنعم البنا
وكيل كلية البنات للدراسات العليا والبحوث

رئيس المؤتمر
أ.د/ رقية حسين شلبى
عميد كلية البنات للآداب والعلوم والتربية

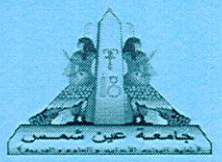

كلية البنات للآداب والعلوم والتربية

دعـــوة

الأستاذ الدكتور / مصطفى عبيد

نائب رئيس الجلسة الأولى

نتشرف بدعوة سيادتكم لحضور المؤتمر الدولى الثالث لقطاع الدراسات العليا والبحوث

كلية البنات للآداب والعلوم والتربية – جامعة عين شمس

تحت عنـــوان

"البحـوث التكامليـة ... طريـق التنميـة"

وذلك يومى الأربعاء والخميس الموافق 27 - 2019/2/28

بفنـدق بيراميـزا إيزيـس إيلانـد بمدينة أسـوان

مقرر المؤتمر

أ.د/ مكة عبدالمنعم البنا

وكيل الكلية للدراسات العليا والبحوث

Integrative Research
A Path for Development
البحوث التكاملية... طريق التنمية

تكامل التاريخ والآثار
في الاستعمار الفرنسي بمصر والجزائر خلال القرن التاسع عشر الميلادي

د. مصطفى عبيد. أستاذ محاضر "أ" جامعة المسيلة. الجزائر

مقدمة:

منذ أن دخل الفرنسيون أرض مصر اثر احتلالها صيف سنة 1798 عملوا على توظيف الآثار المصرية القديمة في خدمة الفعل التاريخي من خلال صناعة او اعادة توجيه تاريخ مصر الحديث إلى الوجهة التي تريدها إدارة بونابرت ومينو وخلفاؤهما ...مركزين على الآثار الفرعونية القديمة البعيدة عن الحضارة الإسلامية رابطين بينها وبين انتشار المسيحية على أرض مصر، وان فرنسا اولى بمصر من المسلمين الفاتحين بعد ذلك. موظفة الآثار العلمية لعلماء الحملة ورحلات عسكرييها والانتاج العلمي الاستعماري للهيآت العلمية الفرنسية كالمجمع العلمي المصري.

ولذا عمل الفرنسيون على توظيف التكامل بين الآثار والتاريخ بداية من انشاء المجمع العلمي المصري (المعهد المصري) سنة 1798 وتأليف كتاب وصف مصر سنة 1822 ،وانشاء المتحف المصري والمكتبة العامة المصرية سنة 1835، والجمعية العلمية المصرية 1859. إلى ترجمة معاني الكتابة الهيروغليفية سنة 1831 التي وظفت هي الاخرى كفعل علمي استعماري في خدمة التاريخ المصري الحديث من خلال النظرة الفرنسية.

وإذا كان الفرنسيون قد خرجوا من مصر صاغرين، ثلاث سنوات بعد عملية الاحتلال هذه، رغم ان تأثيرهم العلمي المذكور بقي ممتدا بعد ذلك في كثير من المشاريع الاقتصادية والأثرية والعلمية. فإنهم حاولوا –مع احتلالهم الجزائر صيف 1830– تجسيد مشروعهم الاستعماري بنفس الخصائص التي كان يغلب عليها آنذاك فكر الكلاسيكيين في المدرسة الأوربية، وتيار السانسيمونيين حديث النشأة آنذاك. ولذا جددوا خريطة عملهم الأثرية واستغلالها في الفعل التاريخي المتعلق بتوجيه تاريخ الجزائر الحديث هو الآخر، بإخراجها من الطابع الشرقي ومحاولة ربطها بالغرب والمسيحية. من انها (الجزائر) وريثة موريتانيا القديمة، وروما المسيحية، وان فرنسا أولى بها من المسلمين الفاتحين.

وشرعت منذ اولى سنوات الاحتلال في تنفيذ الفعل الاستعماري بطريقة علمية مبنية على ما ذكرنا من توجيه، عاملة على تبريره بالموروث الأثري الجزائري القديم المستمد من التواجد الروماني بها. فاتبعت نفس الطريقة التي اتبعتها في مصر، فأنشأت لجنة استكشاف الجزائر العلمي سنة 1837، وانجزت موسوعة استكشاف الجزائر العلمي من 39 مجلدا سنة 1839، وألفت في ذلك الكتب مثلما فعل دولامار سنة

1840، وأسست في السنة نفسها المتحف الجزائري بباريس، والجمعيات الأثرية بقسنطينة والجزائر ووهران سنة 1852، كما أنشأت المفتشية العامة للآثار التاريخية والمتاحف الأثرية بالجزائر سنة 1854.

وبفعل التشابه الحاصل في استعمار البلدين من طرف المستعمر ذاته، وبسبب توظيف فرنسا للآثار في خدمة الاستعمار (والذي هو فعل تاريخي) ونظرا لطبيعة الاستعمار التي كانت علمية في هذا المجال، وبحكم الاشكاليات المطروحة في هذا المؤتمر فإن الاشكالية التي أردنا التطرق إليها من كل ذلك هي: ما مظاهر توظيف فرنسا لدراستها آثار مصر والجزائر في خدمة محاولتها توجيه تاريخ البلدين مصر والجزائر؟

1- الاستكشاف العلمي بمصر وتأليف موسوعة وصف مصر:

لما نتحدث عن موسوعة وصف مصر فإننا نتكلم عن تلك الأعمال العلمية الاستكشافية التي تدخل في إطار تسخير نابليون بونابرت للعلماء في خدمة الفعل الاستعماري الفرنسي بمصر، وهي بالتالي مختلف العمال التي قام بها علماء الحملة الفرنسية على مصر بداية من 1798 تاريخ حملتهم على مصر، والتي استمرت إلى ثمانينيات القرن التاسع عشر على عهد خلفاء محمد علي.

كانت مصر موضوع اهتمام الفرنسيين قبل تنفيذ الحملة، ولذا كان نابليون –وهو متعود على ذلك في حملاته على أوربا– يسعى إلى اصطحاب جيش من العلماء في حملته على مصر لدراستها دراسة علمية تسهّل عملية الاحتلال، واستمرار نتائجه التي تضمن الاستفادة منه . ويقول السيد بانكوك في مذكرته إلى وزير الداخلية السيد سيمون :"كانت مصر موضوعا لعدد ضخم من المؤلفات، كما وصفت من قبل مرات كثيرة، لكن أحدا لم يتمكن، حتى وقت قريب، من الحصول على معرفة تامة ودقيقة عن هذه المنطقة من العالم. كان ذلك يتطلب في الحقيقة حدثا غير عادي، وظروفا مواتية لا يستطيع أن يهيأها إلا جيش منتصر، حتى تتهيأ الوسائل اللازمة لدراسة مصر بالعناية التي تليق بها".[1]

وباعتبار أن موسوعة وصف مصر كانت عملا مسخرا لفائدة الاستعمار فقد تجسدت الأعمال الأولى لها في تلك الملاحظات والمذكرات والدراسات التي قام بها علماء الحملة وعسكريوها بأمر من نابليون، وبإشراف من مونج. وكذلك في تآليف المعهد العلمي المصري باعتبار أن نابليون قد أولى له اهتمام خاص، وجعل منه هيئة مسؤولة عن البحث العلمي في مصر. وأسس له المكتبة العامة والمتحف المصري ليكونا المكان الأمين لحفظ ما تم جمعه أو تأليفه في تاريخ مصر وحضارة البحر المتوسط منذ أقدم العصور إلى دخول الفرنسيين. خاصة وأن الفرنسيين كانوا على اهتمام كبير بتاريخ مصر والشرق عموما، كما أنهم كانوا

1 – بانكوك، مذكرة مقدمة إلى وزير الداخلية السيد سيمون بخصوص إعادة طبع كتاب وصف مصر، ب: **وصف مصر**، مج 01، المصريون المحدثون، صندوق التنمية الثقافية، مصر، ط 03، 1992، ص 04.

ولعين فخورين بما كتبوه عن مصر حتى قال فوريه وهو أحد علماء الحملة بمصر:" لم يسبق لأي بلد آخر أن خضع لأبحاث بمثل هذا الشمول وهذا التنوع، وفضلا عن ذلك فليست هناك بلاد أخرى جديرة بأن تكون موضوعا لأبحاث كهذه، فمعرفة مصر أمر يهم في الحقيقة كل الأمم المتحضرة".[2]

ويمكننا بناء على ذلك تقسيم الموسوعة إلى الأصناف التالية:

1_ الملاحظات والمذكرات التي سجلها علماء الحملة وهي التي جمعت في بداية الأمر، وطبعت حفاظا عليها من الضياع بسبب الحروب التي كانت عليها فرنسا لا سيما بعد أسر نابليون بونابرت في معركة واترلو ونفيه فيما بعد إلى جزيرة سانت هيلانة. وقد تم طبعها في 28 مجلدا تحت اسم "وصف مصر" أو مجموعة الملاحظات والأبحاث التي أجريت في مصر أثناء حملة الجيش الفرنسي. ثم عدّلوا في مقاييس حجم المجلدات ونوعية صفحاتها، فاختزلوا عدد المجلدات إلى أحد عشر مجلدا مع بقاء المحتوى على أصله. وقد طبعت هذه الموسوعة خلال الفترة الممتدة بين 1809 و 1822. فأما الجزءان الأول والثاني فطبعا بأمر من نابليون بونابرت قبل أسره، وأما الأجزاء التسعة الموالية فطبعت بأمر من الحكومة الفرنسية.

وشملت هذه الأجزاء الإحدى عشر المجالات التالية:

المجلد الأول: وجاء تحت عنوان: المصريون المحدثون.[3] وضمت الدراسات التالية:

1- جيبار جوزيف غاسبار دي شابرول (شابرول دي فولفيك)، دراسة في عادات وتقاليد سكان مصر المحدثين.
2- بانكوك، مذكرة مقدمة إلى وزير الداخلية السيد سيمون بخصوص إعادة طبع كتاب وصف مصر. وهي في الأصل دون عنوان.
3- البارون لاري، دراسة موجزة حول البنية الجسدية للمصريين.
4- فوريه، مصر والحملة الفرنسية، مقدمة تاريخية.

المجلد الثاني: وجاء تحت عنوان: العرب في ريف مصر وصحراواتها.[4] وضم الدراسات التالية:

1- غراتيان لوبير، دراسة موجزة عن الجزء الغربي من ولاية البحيرة والذي كان يعرف قديما باسم إقليم المريوطية. أو جولة في إقليم المريوطية.

---

2 – منى زهير الشايب، **وصف مصر**، مج 01، المصدر نفسه، ص 04.

3 – علماء الحملة الفرنسية، **وصف مصر**، ج 01، المصريون المحدثون، تر. زهير الشايب، 1992.

4 – علماء الحملة الفرنسية، **وصف مصر**، ج 02، العرب في ريف مصر وصحراواتها، تر. زهير الشايب، دار الشايب للنشر، مصر، 1992.

2- الجنرال أندريوسي، دراسة موجزة عن وادي بحيرات النطرون وعن النهر بلا ماء، حسب المعلومات التي حصلنا عليها من جولة استكشافية تمت بين 23 و 27 جانفي 1799. أو رحلة إلى وادي النطرون.

3- ج. مونج، دراسة موجزة عن عيون موسى.

4- ج. كوتل، ملاحظات حول طوبوغرافية شبه جزيرة سيناء، التقاليد، العادات، الصناعة، التجارة، الشعب والسكان. أو ثمانية وعشرون يوما في سيناء.

5- ب. م. مارتان، وصف هيدروغرافي لولايتي بني سويف والفيوم.

6- إ. جومار، ملاحظات عن العرب في مصر الوسطى. أو العرب والعربان في مصر الوسطى.

7- دي بوا، وإيميه غولوا، مقالة عن القصير وضواحيها، وعن الأقوام التي تسكن هذه المنطقة التي كانت في الأزمنة القديمة مقرا لسكان الكهوف. أو القصير والعبابدة.

8- دي بوا، إيميه غولوا، دراسة موجزة عن القبائل العربية في صحراء مصر.

9- دي بوا، إيميه غولوا، دراسة موجزة عن إقامة العبرانيين في مصر وعن هروبهم إلى الصحراء. أو كيف خرج اليهود من مصر القديمة.

10- أميديه جوبير، حصر شامل للقبائل العربية التي تقطن بين مصر وفلسطين ابتداء من خان يونس وغزة حتى نهر العاصي، والجزء الشمالي من الصحراء التي تفصل مكة عن سوريا.

المجلد الثالث: وجاء تحت عنوان: دراسات عن المدن والأقاليم المصرية.[5] ويشتمل على ثلاثة عشرة دراسة، جاءت على الشكل التالي:

1- مالو، مستخلص عن الحالة القديمة والحديثة للأقاليم الشرقية لمصر السفلى. أو رحلة إلى شرق الدلتا.

2- أندريوسيه، دراسة عن بحيرة المنزلة.

3- شابرول ولانكريه، نبذة طوبغرافية عن الجزء من أرض مصر الواقع بين الرحمانية ومدينة الإسكندرية، وعن ضواحي بحيرة مريوط. أو رحلة إلى غرب الدلتا.

4- دي بوا، إيميه غولوا، رحلة إلى أعماق الدلتا.

5- جراتين لوبير، جولة بين بحيرات مصر.

---

5 – علماء الحملة الفرنسية، **دراسات عن المدن والأقاليم المصرية**، ج 03، وصف مصر، تر. زهير الشايب، دار الشايب للنشر، مصر، 1992. 423 ص.

6- دي بوا، إيميه غولوا، الحدود القديمة للبحر الأحمر (01).

7- دي بوا، إيميه غولوا، الحدود القديمة للبحر الأحمر (02).

8- كوستاز، دراسة عن النوبة والنوبيين.

9- إيميه غولوا، وصف مدينة الرشيد.

10- لانكريه، شابرول، دراسة موجزة عن ترعة الإسكندرية.

11- غراتيان لوبير، دراسة عن مدينة الإسكندرية.

12- دي بوا، إيميه غولوا، مذكرة حول فروع النيل القديمة ومصباتها في البحر.

13- لانكري، مفكرة حول الفرع الكانوبي.

المجلد الرابع: وجاء تحت عنوان: الحياة الاقتصادية في مصر في القرن الثامن عشر.[6] وهو يمثل الجزء الأول من الدراسة الاقتصادية حيث تناول: الزراعة، الصناعات والحرف، التجارة. من تأليف السيد جيرار.

المجلد الخامس: وهو الجزء الثاني من دراسة " الحياة الاقتصادية في مصر في القرن الثامن عشر".[7] وتناول النظام المالي والإداري الاقتصادي في مصر العثمانية. وقد ألفه علماء الحملة الفرنسية بالاشتراك: لانكريه، استيف، روزيير ووروييه، كوللييه ديكوتيل، بوديه.

المجلد السادس: وهو الجزء الثالث من الدراسة الاقتصادية في مصر في القرن الثامن عشر.[8] وتناول الموازين والنقود. وهو من تأليف صامويل برنارد.

المجلد السابع: وجاء تحت عنوان: الموسيقى والغناء عند قدماء المصريين.[9] من اعداد علماء جيش الحملة.

المجلد الثامن: الموسيقى والغناء عند المصريين المحدثين للمؤلف غيوتو.[10] من اعداد علماء جيش الحملة.

---

6 – ب، س، جيرار، **الحياة الاقتصادية في مصر في القرن الثامن عشر، الزراعة**، ج 04، الصناعات والحرف، التجارة، تر. زهير الشايب، دار الشايب للنشر، مصر، 1992. 392 ص.

7 – علماء الحملة الفرنسية، **الحياة الاقتصادية في مصر في القرن الثامن عشر**، ج 05، النظام المالي والإداري في مصر العثمانية، تر. زهير الشايب، دار الشايب للنشر، مصر، 1992. 326 ص.

8 – صامويل برنار، **الحياة الاقتصادية في مصر في القرن الثامن عشر**، ج 03، الموازين والنقود، تر. زهير الشايب، دار الشايب للنشر، مصر، 1992. 284 ص.

9 – علماء جيش الحملة، **الموسيقى والغناء عند قدماء المصريين**، مج 07، تر. زهير الشايب، دار الشايب للنشر، مصر، 1992. 188 ص.

10 – غيتو، **الموسيقى والغناء عند المصريين المحدثين**، ج 08، تر. زهير الشايب، دار الشايب للنشر، مصر، 1992. 284 ص.

المجلد التاسع: الآلات الموسيقية المستخدمة عند المصريين المحدثين.[11] من اعداد علماء جيش الحملة.

المجلد العاشر: وهو مجلد خاص بمدينة القاهرة، جاء تحت عنوان: مدينة القاهرة.[12]

وقد تناول ثلاثة دراسات هي:

1- وصف مدينة القاهرة لجومار.

2- الخطوط العربية على عمائر القاهرة. لمارسيل

3- سيرة أحمد بن طولون. لمارسيل.

المجلد الحادي عشر والأخير: وقد خصصه علماء الحملة للوحات والرسم والآثار التي سجلوها أو ألفوها بمصر خلال إقامتهم بها أثناء فترة الاحتلال وبعدها إلى غاية 1822 تاريخ طباعة هذا الجزء أول مرة.

1- الأعمال العلمية التي ألفها الفرنسيون على شكل مذكرات خاصة، كمذكرات العسكريين والسياسيين الذين جابوا مصر. والتي تحمل بدورها وصفا لمصر ولشعبها وحضارتها وعادت سكانها وتقاليدهم...

2- أعمال المعهد العلمي المصري، ونشريات جيش الحملة لا سيما دورية "العِقد المصري" (La Décade Egyptienne) التي كان يصدرها الجيش الفرنسي بمصر كل عشرة أيام.

بداية النشاط العلمي الاستعماري بالجزائر وتأليف موسوعة استكشاف الجزائر العلمي:

تقليدا لما قام به جيش الشرق في مصر حاول جيش إفريقيا (وهو الجيش الفرنسي بالجزائر) تكرار نفس التجربة، ولذا فمنذ أن دخل الفرنسيون أرض الجزائر فكروا في انشاء موسوعة علمية على شاكلة "وصف مصر"، بغية الوصول إلى تحقيق أهداف كثيرة، كان أبرزها الحيلولة دون خروجهم من الجزائر مثلما حدث لهم في مصر، ولن يكون ذلك إلا بتوظيف تجربتهم في مصر والاستفادة منها، ومنها توظيف الجيش العلمي والاستفادة من أعماله. فأسسوا اللجنة العلمية لاستكشاف الجزائر بصفة رسمية في 14 أوت 1837، والتي جاءت أعمالها في 39 جزءا، على رأسها الاهتمامات التاريخية والجغرافية والفنية والآثرية، والتاريخ الطبيعي، والزيولوجيا ... وكان أبرز من كتب في هذا المجال هو السيد كاريت، الذي نشر بالموسوعة كتابا حول الطرقات التي اتبعها العرب في هجراتهم إلى الحدود الجنوبية للجزائر وتونس.[13] كما كتب سنة 1844

---

11 – علماء الحملة الفرنسية، **الآلات الموسيقية المستخدمة عند المصريين المحدثين**، ج 09، تر. زهير الشايب، دار الشايب للنشر، مصر، 1992. 438 ص.

12 – علماء الحملة الفرنسية، **مدينة القاهرة، الخطوط العربية على عمائر القاهرة، وسيرة احمد بن ظولون**، تر. تح. زهير الشايب، منى زهير الشايب (بعد وفاة أبيها زهير)، دار الشايب للنشر، مصر، 1992. 426 ص.

13 - E. Carette , **Etude des routes suivies par les arabes dans la partie méridionale**, 02 Vols.in l'Exploration Scientifique de l'Algérie, Imprimerie nationale, Paris, 1844.

بحوثا حول جغرافية وتجارة الجنوب الجزائري.[14] فيما كتب سنة 1853 كتابه الثالث تحت عنوان: بحوث في أصول وهجرات القبائل الرئيسية لإفريقيا الشمالية وخاصة الجزائر.[15] أما كتابه الرابع والأخير الذي نشره في أعمال الموسوعة المطبوعة فكان حول منطقة القبائل وسكانها.[16]

وإذا كان كاريت قد ألّف أربعة كتب نشرها في أجزاء الموسوعة، فإن صديقه بيليسيي صاحب مجزرة الظهرة بغار الفراشيش بالغرب الجزائري، قد ألف هو الآخر كتابين، نشر الأول في أعمال الموسوعة، فيما نشر الثاني مستقلا عنها. وهو من ملحقات الموسوعة إن صح التعبير. لأن صاحبه من الناشطين في تأليفها والدّاعين إلى ترسيخ الاستعمار الفرنسي بالجزائر وضرورة فرنسة الجزائر على جميع الأصعدة. وكان الكتاب الذي نشره بالموسوعة بعنوان: مذكرات تاريخية وجغرافية حول الجزائر. وقد نشره سنة 1844. أما الكتاب الثاني فهو: الحوليات الجزائرية.[17] كما ترجم ونشر بيربروجر هو الآخر كتاب "الرحلة العياشية" المعروفة بماء الموائد، وتطرق من خلالها إلى معرفة جنوب الجزائر ودول المغرب العربي ومكة، وهي المناطق التي زارها العياشي وأرّخ لها في رحلته.[18] كما نشر الفرنسيون أيضا في مجال ترجمة الكتب ونشرها، فترجموا ونشروا كتاب تاريخ إفريقيا لابن أبي دينار.[19] وكذا كتاب خليل بن إسحاق المالكي الذي نشروه في ستة مجلدات كاملة.[20]

أما أجزاء الموسوعة الأخرى فهي لا تعنينا في الدراسة هنا، لأنها كتب علمية، وإنما نشير إليها حتى يتضح لدينا ذلك الاهتمام الفرنسي الكبير باستكشاف الجزائر استكشافا دقيقا. فنشر السيد بيرييه كتابا في جزأين عن الصحة بالجزائر.[21] كما نشر آمي كتابه في جزأين أيضا حول الفيزياء العامة.[22] ونشر لوش سنة

14- E. Carette. **Recherches sur la géographie et le commerce de l'Algérie mérodionale**, in l'Exploration Scientifique de l'Algérie, 1844.

15- E. Carette , **Recherches sur l'Origine et les migrations des principales tribus de l'Afrique Septentrional et particulièrement de l'Algérie**. in l'Exploration Scientifique de l'Algérie, 1844. **ptentrionale et particulièrement de l'Algérie**, 1853.

16- E. Carette **, Etudes sur la Kabilie proprement dite**, 02 Vols, l'un en 1847 et le deuxième en 1848.

17 - Pellissier de Reynaud, **Mémoires Historiques et Géographiques sur l'Algérie**, in 1844. et **Annales Algériennes**, 03 Vols, Paris, 1854. كما نشرت له الموسوعة أيضا وصف مقاطعة تونس الذي كتبه سنة 1853 وكان بمثابة الجزء السادس عشر والأخير في سلسلة الدراسات التاريخية بالموسوعة.

18 - Adrien Berbrogger, **Voyage dans le sud de l'Algérie et des états Barbaresques de l'Ouest et de l'Est par El- Aiachi Moula- Ahmed**, 1846. 09 Vol dans l'Exploration.

19 - Ibn Abi Dinar, **Histoire de l'Afrique**, 1845.

20 - Khalil Ibn Ishak Ibn Jaquob, **Précis de Jurisprudence musulmane**. 06 Vols (de vol 11 au vol 15 dans l'Exploration) 1848 – 1854.

21 - Perier, **De l'Hygiène en Algérie**, 1847.

22 - Aime, **Physique générale**, 02 Vols, 1845, 1846.

1847 كتابا بعنوان التاريخ الطبيعي للثدييات اهتم فيه بدراسة الحيوانات الثديية.[23] كما اهتم بالطيور فألف حولهم كتابا من جزأين أيضا. وبعد جهده هذا، وضع قاموسا للزواحف والأسماك والطيور والثدييات.[24] أما لوكا فقد نشر كتابا علميا عن التاريخ الطبيعي للفقريات، جعله في أربعة أجزاء كاملة.[25] أما ديريو دو ميزونوف فقد كتب عن النبات بالجزائر في مؤلفه الضخم الذي جاء في ثلاثة مجلدات.[26] في حين اختار غيشنو البحث في مجال الزواحف، فألف عنها كتابا سمّاه التاريخ الطبيعي للزواحف والأسماك.[27] أما العالم دوصاييه فقد اختار البحث في مجال الرخويات حتى ألف عنهم كتابا من جزأين هو الآخر.[28]

وفي الآثار والفنون الجميلة نجد أن دولامار كان له الحظ الأوفر فيها، حيث ألف ثلاثة مجلدات أثرية. فيما ألف آمابل رافوازييه مجلدين متعلقان بالفنون الجميلة والدهن.

الأعمال المكملة للموسوعة العلمية لاستكشاف الجزائر العلمي:

وإضافة إلى الأعمال المنشورة في الموسوعة نذكر أيضا أعمالا مكملة لها، وتعتبر هي الأخرى ملاحق للموسوعة لأنها من صميم ما ألف علماء الحملة الفرنسية بالجزائر، نذكر منها:

1- **أعمال الجمعية التاريخية:** أسسها قادة الاستعمار العلمي بقيادة بيربروجر[29] خصيصا لدراسة تاريخ الجزائر عبر العصور وباعتبار أن الفرنسيين كانوا يطلقون على الجزائر تسمية إفريقيا ومنها جيش إفريقيا، أسسوا لها مجلة متخصصة وهي المجلة الشهيرة "المجلة الإفريقية" التي تعتبر جزءا لا يتجزأ من أعمال موسوعة استكشاف الجزائر العلمي. لا سيما أعمال بيربروجر مثل فهرس النقوش الرومانية الحالية بمليانة (Inventaire des inscriptions romaines actuellement à Miliana) ودراسته عن قبر الرومية مثلا (Tombeau de la chrétienne) (Exploration de tombeau de la chrétienne) أو دراسات دوفو مثلا عن مساجد العاصمة (Notes historiques sur les mosquées et autres édifices religieux d'Alger) وكذلك دراسته عن آثار وطوبوغرافيا مدينة الجزائر (Alger, Etude archéologique et topographique sur cette ville)...أو دراسات بروسلار عن النقوش العربية بمدينة تلمسان (Inscriptions arabes de Tlemcen)، أو دراسة ماسكوراي حول آثار تيمقاد (Les ruines de

23 - Locas, **Histoire naturelle des mammifères**, 1844. et **Histoire naturelle des oiseaux**, 02 Vols, 1867. Et aussi **Atlas des reptiles et des poissons**, **des oiseaux des mammifères.**

24 - **Histoire naturelle des mammifères**, 1844.

25 -Locas, **Histoire naturelle des animeaux articulés**, 1844, 04 Vols.

26 - Durieu de Maisonneuve, **Flore de l'Algérie**, 03 Vols, 1846 – 1868.

27- Guichnot, **Histoire naturelle des reptiles et des poissons** , 02 Vols, 1850.

28- Deshayes, **Histoire naturelle des reptiles et des mollusque**, 02 Vols, 1844.

29 – أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي، ج 01، 1500 – 1830**، دار البصائر، ط 06، 2009، الجزائر، ص 302، 303.

Thamgad) ودراسته عن الشرق الجزائري حول بلزمة ونقاوس وطبنة وطولقة (Seriana, Le Bellezma, Negaous, Tobna, Tolga, Rapport archéologique) وخنشلة (Ruines anciennes de Khenchela (Mascula) ودراسة بول حول بشيلقة (Ruines de Bichelga (Zabi)).... هي فعلا دراسات كثيرة ومتنوعة، بينت بوضوح التأثير الذي أرادته فرنسا الاستعمارية بالجزائر حفظا لمصالحها الاستعمارية. وعملا كبيرا من أجل اظهار رومانية الجزائر في تاريخها القديم، في محاولة لنشر الروح الصليبية الرومانية، وفي محاولة فرنسية جادة أيضا لبعث الإمبراطورية الرومانية من جديد. وأرادت أن تكون أرض الجزائر المكان المفضل لهذا المسعى. ولولا المقاومة الشديدة والقوية أيضا، ولولا اتساع رقعة المقاومة هذه لكان هذا التأثير خطرا كبيرا على الجزائر وعلى مستقبلها.

2- **أعمال الجمعيات الأثرية:** أسسها الفرنسيون في قسنطينة ووهران وجعلوا لها دوريات متخصصة وهي: "مجموع نشرات ومذكرات الجمعية الأثرية لمقاطعة قسنطينة" (Recueil des notices et mémoires de la société archéologique de la province de Constantine). وكذا نشرية الجمعية الأثرية بوهران "النشرية الفصلية لتاريخ الجزائر القديم" (Société Géographie et d'Archéologie d'Oran, Bulletin Trimestriel des Antiquités Africaines).

3- **عمل وزارة الحربية:** باعتبار أن الجزائر كانت تسيّر بطريقة مباشرة من طرف وزارة الحربية، فقد ألف الفرنسيون سجل الاستعمار الفرنسي بالجزائر (Tableau de la situations des établissements français dans l'Algérie)، وكان ذلك دوما في إطار خدمة الاستعمار الممنهج بالجزائر وتوطيده على أركان الفرنسة والتغريب ومسخ الهوية العربية الإسلامية الأصيلة للجزائريين. فكانت مجلداته العشرين (1838 – 1867) مكتبة لحفظ الأعمال والملاحظات والمذكرات الفرنسية التي سجلها عسكريوها وسياسيوها وإداريوها بالجزائر لتوضع تحت تصرف جيش الشرق للاستفادة منها علميا في تفعيل تجسيد الاستعمار الفرنسي بالجزائر. وقد بدأت وزارة الحربية في تأليف السجل (1838) في نفس فترة التفكير الجدي في مباشرة لجنة استكشاف الجزائر العلمي لعملها (1839). وانتهى العمل بهما في نفس السنة 1867.

4- **كتابات علماء جيش الحملة عن الجزائر:** وهم المؤيدون لمشروع اللجنة العلمية لاستكشاف الجزائر، بل وهم من أعضائها مثل أونفونتان، بيليسيي، أوربان، واربي، بيرون...

انشاء الهيئات العلمية بمصر:

بغية الاستكشاف العلمي لمصر وتحقيقا للأهداف الاستعمارية الفرنسية ولا سيما توظيف العلم في خدمة صناعة تاريخ فرنسا وأمجادها، سارعت الإدارة الفرنسية إلى تأسيس اللجان والهيآت العلمية متمثلة في المجمع العلمي والجمعية العلمية خلال الفترة الممتدة بين 1798 و 1859 بمصر.

المجمع العلمي المصري والجمعية العلمية المصرية:

من الضروري ان نعلم أولا أن فرنسا بمصر وبغيرها سواء بالجزائر أو في كل مستعمراتها لم تكون إطارا واحدا تكوينا علميا او عسكريا يسمح له بالنهوض بأمته او يضاهي التكوين الذي كان عليه علماؤها أو قادتها العسكريون. وإنما كانت أعمالها كلها في إطار دراسة ممنهجة يسهر عليها العلماء من المختصين والمفكرين والإيديولوجيين لتوظيف جهودهم العلمية تلك في صناعة امجاد تاريخها.

تبعا لهذه الأهداف الاستعمارية إذن تأسس المعهد المصري بقرار من نابليون بونابرت بصفته رئيس المعهد الوطني الفرنسي بباريس منذ 1797، في 22 أوت 1798 بعد أن كلف يوم 20 من الشهر المذكور كل من مونج، وبارتوليّ،[30] وكافاريلّي، وجوفرواي وكوستاز، ودي جونات، وأندريوسّي بصياغة القانون الأساسي المنظم لسير المعهد. قبل أن يصدر هو أمرية التأسيس في 22 أوت كما ذكرنا والتي جاء في بنودها مايلي:

1) سنؤسس بمصر معهدا للعلوم والفنون وسيكون مقره بالقاهرة.
2) تتمثل مهام هذه المؤسسة في الآتي:
   _ الاهتمام بتحقيق النهضة في مصر والسهر على ترقيتها.
   _ البحث والدراسة ونشر الأعمال في مجال الطبيعيات والصناعة وكذا تاريخ مصر.
   _ يكون بمثابة هيئة استشارية في القضايا التي تطرح على الحكومة.
3) سيشمل المعهد أربعة فروع أساسية.
4) الفروع الرئيسية للمعهد هي كالتالي: الرياضيات، الفيزياء، الاقتصاد السياسي، الآداب والفنون.

كل فرع من هذه الفروع يتكون من 12 عضوا.

5) تكون جلسات المعهد جلسات عامة، وليس للفروع جلسات خاصة.
6) تنعقد الجلسات مرتان كل عشرة أيام من الساعة السابعة صباحا وتمتد على مدى ساعتين.
7) كل الضباط العامون بالجيش الفرنسي لهم الحق في الدخول إلى كل الجلسات.

[30] - Patrice Bret, **L'Egypte au temps de l'Expédition de Bonapart 1798 – 1801**, Hachette, Paris, 1998, p 206.

هذا، بينما نجد أن المواد من تسعة إلى عشرين تحدد كيفية تعيين أعضاء المكتب ونوعية وظائفهم.[31]

وقد نصت الأمرية على أن يكون مقر المعهد بقصر حسن كاشف بالقرب من قصر قاسم باي بالقاهرة، واهتم به نابليون حتى جهزه بتجهيزات كبيرة جعلته يضاهي متحف اللوفر بباريس.[32] كل ذلك من أجل الوصول إلى اكتشاف مصر واخضاعها طبقا للأهداف الاستعمارية التي سارت من أجلها الحملة وصناعة أمجاد التاريخ الفرنسي. كما دعت الأمرية أيضا إلى أن يتكون المعهد من أربعة تخصصات كما ذكرنا ضمت العلماء الآتية أسماؤهم:

1- فرع الرياضيات: ويضم كلا من: بونابرت، فورييه، كوستاز، نوييه Nouet، كاسنوQuesno ، لوبار Le Père، جيرارد، لو روي Le Roy ، أندريوسّيه، ساي Say ، مونج، مالوس Malus .

2- فرع الفيزياء: ويضم كلا من: بارتولّي، دولوميو Dolomieu، كونتي Conté، جوفرواي، داسكوتيل Descotils، سافيني Savigny، ديبوا Dubois، دي جونات، شامبي Champy، دوليل Delille.

3- فرع الاقتصاد السياسي: كافاريلي، غلوتييه Gloutier ، سوسي Susy ، سولكووسكي Sulkowski ، طاليان Tallien ، بوسيالغ Boussielgue .

4- فرع الآداب والفنون: بارسوفال Parseval ، فانتور Venture ، نورّي Norry ، ديتارت Dutertre ، دونون Denon ، ريجال Rigel ، رودوتي Redouté ، ومترجم يوناني. هذا، وقد عقد أعضاء المعهد المصري أول اجتماعاتهم في اليوم الموالي 23 أوت وانتخبوا السيد مونج رئيسا للمعهد.[33]

ومن هنا نقول، أنه من الواضح أن نابليون أراد أن يجعل من المعهد المصري هذا أداة فعالة لنشر أفكار وتاريخ فرنسا وحضارتها في الضفة الجنوبية للمتوسط، وترجمانا خادما لأهداف فرنسا في الشرق العربي خصوصا والحضارة الشرقية عموما. كيف لا وهو الذي يهدف إلى توظيف العلم في صناعة واقع حياتي مفروض على مصر وهو ما سنجد مثله تماما بالجزائر كما سنرى. وإلى توظيف العلم في صناعة طبقة نصف مثقفة، أو عاملة مسخرّة، أو مستفيدة مما في المجمع المصري من آثار مدروسة، ومختارة على مقاس الفرنسيين. لنشر أفكارهم وحضارتهم، باسم المدنية التي اختبأوا تحتها، لتمرير مشروع الفرنسة والتغريب في مصر والجزائر، وفي كامل البلاد العربية على العموم. ويعتبر ذلك قمة التأثير الذي أرادته فرنسا في البلدين، تطبيقا لفكرة نابليون القائلة بالسيطرة على البحر المتوسط بضفتيه، لجعله بحيرة فرنسية كما كان يسميه. ثم

31 _ C. de la Jonquière, **Expédition de l'Egypte, 1798 _ 1801**, T 02, Paris, France, SD. P 554.
32 - Patrice Bret, Op, Cit, p 207.
33_ de la Jonquière,Op. Cit, P 555, 556. Et Patrice Bret, Op. Cit, p 206.

يخلو له الجو للوصول إلى المحيط الهندي، وإلى الصين، وشرق آسيا، لمحاصرة الوجود الإنجليزي، والمطامح البرتغالية والإسبانية.

بالنسبة للمعهد المصري، شارك في انجازه كبار علماء فرنسا من مختلف التخصصات، منهم الرياضيون (الرياضيات) والمهندسون والفلكيون والمعماريون والفيزيائيون والكيميائيون وعلماء الطبيعة والجغرافيون والدهانون وعلماء الطبيعة والموسيقيون وكان أغلبهم من المستشرقين... نذكر منهم : بارتولّيه Berthollet ، مونج Monge ، كونتي Conté ، كوستاز Costaz ، دوليل Delile ، ديجينيت Desgenettes ، ديفييه Devilliers، فورييه Fourier ، جيرار Girard ، جولوا Jollois ، لونكريه Lancret ، جومار Jomard ، أندريوسيAndréossy ، بالزاك Balzac ، باليتست Belleteste، بارتر Bertre ، بوديه boudet ، كريستي Caristie ، كاستاكس Castex ، سيسيل Cécile ، دي شابرولDe chabrol ، كورابوف Coraboeuf، دي كورانسيه De corancez ، كورديه Cordier ، كوتال Coutelle ، دي لابورت De Laporte، دي كوتيل descotils ، ديبوا إيميه Dubois-Aymé ، دوشانوي Duchanoy ، دوترتر Dutertre، فافييه Favier ، فاي Faye ، فيف Fève ، جراتيان لوبير Gratien- Lepere ، جيوفروي Geoffroy، جاكوتان Jacotin، جوبير Jaubert، لاري Larrey، ليسيسن Lecesne، لوجنتي Legentil، لنوار Lenoir، لوبير الأكبر Lepèr ainé، لوبير المهندس المعماري Lepère architecte، مالو Malus، مارسيل Marcel، مارتن Martin، نوري Norry، نويه Nouet، بروتان Protain، رافينو Raffeneau، راج Raige، ريدوتيه Redouté، روييه Rouyer، سان جيني Saint-Genis، صامويل برنارد Samuel Bernard ، سافييني Savigny، فيار Viard، فيوتو Villoteau ، فانسان Vencent.[34]

بعد أن أسس نابليون بونابرت المعهد المصري من أجل الأهداف المذكورة، تم انتخاب كبير الرياضيين الفرنسيين آنذاك وهو السيد مونج رئيسا للمعهد، وانتخب السيد فورييه وهو رياضي أيضا كاتبا عاما.[35] واتخذ نابليون من قصر قاسم باي مقرا للمعهد، وهو مكان استراتيجي يبعد عن الأزبكية بحوالي كيلومترين فقط. ثم أراد نابليون أن يوهم المصريين ومعارضي حملته سواء منهم العثمانيين أو الانجليز أن أهداف المعهد هي أهداف بعيدة عن المخطط الاستعماري وإنما تتمثل فيما يلي:

1- تطوير مصر ونشر خصوصيات عصر النهضة الأوربية بها.

2- الاشتغال على الأبحاث والدراسات الطبيعية والصناعية والتاريخية ونشرها.

---

34 – علماء الحملة الفرنسية، **موسوعة وصف مصر**، ج 02. ص 65.

35 - Patrice Bret, Op. Cit, p 206.

3- ابداء رأيه في مختلف القضايا وتحويلها إلى الحكومة للتكفل بها.[36]

ومنذ الجلسات الأولى سارع المعهد إلى التأثير في الحياة الاجتماعية المصرية وفرنستها، فأسس لجنة لدراسة المقاييس المستعملة في مصر ومعرفة معادلتها بالقياسات المستعملة في فرنسا، تمهيدا لتطبيق الأنظمة القياسية الفرنسية بدلا عن تلك المستعملة في مصر، وهو ما تم فيما بعد. كما أمر بالإقبال على دراسة النحو العربي واللغة العربية واللهجة المصرية، وجعلها تحت تصرف الفرنسيين لتسهيل عملية تواصلهم مع المصريين .[37] تسهيلا لتحقيق التأثير الفرنسي في المجتمع المصري، وتمهيدا لدمج المصريين وتذويبهم في بوتقة الفرنسة والتغريب.

الجمعية العلمية المصرية:

لم تكتف إدارة الاحتلال بالدور الذي لعبه المعهد المصري في التغلغل داخل المجتمع المصري والعمل على ضرب خصائصه العربية الإسلامية، واستبدالها بالقوانين الفرنسية وأساليب الحياة الغربية ... سارع جومار وهو عضو سابق في المجمع العلمي المصري، إلى تأسيس الجمعية العلمية في 06 ماي 1859. وحرص على أن تكون مؤسسة ثقافية حكومية، تستطيع فرنسا أن تحقق أهدافها من خلالها، لاسيما خلال الفترة التي ظهرت فيها وهي أواسط القرن التاسع عشر الميلادي، حيث كانت مصر تعاني من الأزمات المالية، ومن الضغط الفرنسي والإنجليزي على الحكومات الخديوية المتعاقبة.

تألّفت الجمعية العلمية هذه، من خمسين عضوا دائما، ومثلهم كحد أقصى من الأعضاء الشرفيين، واشترطت الإدارة إقامتهم في القاهرة حتى يكونون قريبين من مقر المعهد، وقريبين أيضا من مركز القرار في ظل وضع مصري لا تحسد عليه. وأصبحت الجمعية والمعهد هيئتين استشاريتين لحكومة فرنسا في كل القضايا التي تهم مصر.[38] فأصبحتا، بذلك، مؤسستين فرنسيتين استعماريتين بأتم معنى الكلمة.

وحرصا على انجاح سياسة فرض الهيمنة والتبعية الفرنسية على مصر لم يكن جومار هو الشخصية المرموقة الوحيدة، وإنما هناك أسماء أخرى بارزة كانت تشتغل بهذه الجمعية العلمية نذكر منهم: كونينج بك (Kuening Bey) وهو الكاتب العام لمحمد سعيد باشا والي مصر، وأوغست ماريت (Auguste Mariette) المكلف بمصلحة الآثار المصرية، إضافة إلى تيربرا (Thurbira) وهو عالم اقتصاد وأحد التجار

36- de la Jonquière, Op. Cit, 556. Et Patrice Bret, Op. Cit, p 206.
37 - Fernand BEAUCOUR, "L'Institut d'Egypte et ses travaux", in www.napoleon.org.
38 - Institut Egyptien, **Statuts**, juin 1884, S.D.L

الإنجليز بالإسكندرية وكذلك الفرنسي الدكتور شاب (Dr. Shepp) الذي كان في منصب المندوب الصحي بالإسكندرية.[39]

مثلها مثل المعهد المصري، كانت الجمعية تخدم أغراض نابليون وجيش الشرق من أجل احداث التأثير التغريبي المرغوب في مصر. وكان "الغرض الرئيسي للجمعية هو درس جميع ما يتعلق بالقطر المصري وما جاوره من البلاد الأخرى، أدبيا وفنيا وعلميا. وتتكون من خمسين عضوا يقيمون في القطر المصري، وينتخبون بأغلبية أصوات الأعضاء الموجودين بهيئة اقتراع سري، ويوجد بها أيضا أعضاء شرف عددهم غير محدود".[40] وكان مقرها بالإسكندرية إلى غاية 09 جانفي 1880 حين نقلت مقرها إلى القاهرة.[41]

وخدمة لأهدافها الاستعمارية هذه، وعلى رأسها الفرنسة والعمل بكل الوسائل على ابراز الطابع المسيحي لمصر، عملت الجمعية على عقد الندوات العلمية والأيام الدراسية، وتنشيط المحاضرات من قبل متخصصين مصريين وأوربيين من كل من له اهتمام بتاريخ مصر عبر التاريخ على مختلف تخصصاته وميادينه. ولضمان التأثير عن طريق الفرنسة تم اقرار طبع الأعمال أيضا على شرط أن يتم طبعها بالفرنسية أيضا، حتى ولو أن تقديم المحاضرات لم يكن يشترط فيه اللغة، على شرط أن تكون اللغة الرسمية هي اللغة الفرنسية. بينما كانت المحاضرات تقدم بأي لغة كانت في محاولة لتسهيل جمع تاريخ مصر وتحقيق أهداف الجمعية. وقد طبعت الجمعية كل أعمالها والمحاضرات التي قدمت في إطار نشاطاتها وذلك "في مجموعة سنوية في مجلدين يحتويان على المحاضرات التي تلقى أمام الجمعية، وتقرر المباحثات ...إلخ، وتطبع أيضا رسائل في المواضيع الهامة".[42] وقد وصل عدد مطبوعات الجمعية إلى ما يزيد عن 22 ألف عمل.[43]

وخدمة للأهداف الاستعمارية التي نتكلم عنها، لاسيما توظيف الآثار في خدمة تاريخ فرنسا الاستعمارية، داومت الجمعية، وكذا متحف مصر وتحت إشراف الفرنسيين، على نشاطات دورية جاب فيها علماء الآثار كل مواطن الآثار القديمة بمصر، بحثا عن كل قطعة أثرية مسيحية أو معلم تاريخي يعود إلى فترة ما قبل الإسلام، في محاولة منهم للبرهنة على أن مصر مسيحية وأن فرنسا المسيحية أولى بها من العثمانيين،

39 - "المجمع العلمي المصري"، **جريدة الهلال المصرية**، مج. 1950، ص 517، ب: وثائق مكتبة الإسكندرية: modernegypt.bibalex.org

40 - de la Jonquière, Op. Cit, 517, 518.

41 - Ibid, 517.

42 - de la Jonquière, Op. Cit, 517.

43 - **Le Musée Egyptien, Recueil de monuments et de notices sur les fouilles d'Egypte**, Publier par Maspero, T 02, Le Caire 1907, 517. 244 Ps.

أو المماليك المسلمين. حتى ولو كان الفرنسيون يعلمون مسبقا تجذّر الدين الإسلامي في نفوس المصريين من خلال دراساتهم الاجتماعية التي تطرق إليها العسكريون وعلماء الحملة.

ومن بين تلك الأعمال الاستعمارية، نذكر تلك الأبحاث التي امتدت على مدى ثلاثة أشهر خلال الفترة الممتدة بين 22 ديسمبر 1910 و 07 مارس 1911 من أجل دراسة الآثار المنتشرة على منطقة النوبة وعلى مقاطعة الشرقية. يقول الفرنسي ماسبيرو بعد أن تم تنصيبه في منصب المفتش العام للحكومة المصرية وهو مظهر قوي من مظاهر التأثير (شخصية فرنسية في منصب مسؤولية مصري) والذي كان يتابع تلك الأشغال المذكورة آنفا:" أنا ملزم بتغيير البرنامج المسطر... منذ وصولي إلى هنا في 04 جانفي 1911 راقبت الأعمال المنجزة وكذا الآثار الموجودة في تيبس وذلك خلال الفترة الأولى الموالية لوصولي 04 إلى 20 جانفي...".[44]

من خلال ما ذكرنا يتضح جليا أن المسؤولين الإداريين الفرنسيين كانوا يولون أهمية كبيرة إلى العمل في مجال الآثار، وذلك من خلال بداية ماسبيرو العمل يوم وصوله في 04 جانفي. ويذكر المفتش العام للحكومة أنه بعد مراقبته لتلك الأعمال والآثار المصرية انتقل إلى دراسة مناطق النيل وآثارها وقصر إبراهيم وأمادة والدر وسيباو ومحارقة والدكّا، ودندور، وقلابشي، وبيت الوالي، وتافة، وقرتاسي، وديبو.... إلى غاية الوصول إلى أسيوط. وبهذه المناسبة صرح المفتش العام للحكومة الفرنسية :لقد تابعت الأعمال التي قام بها بارسانتي (Barsenti) بين 1907 و 1910 وهي أعمال متقنة".[45] فرأى أن النيل قد تمت دراسته دراسة وافية وشاملة للآثار المتواجدة بالمنطقة سواء على مستوى كوم أمبو، وسيلسيليا، وإدفو، والكاب، وإسنا.

وفي إطار النشاط المسيحي أو توظيف الآثار في خدمة التاريخ الفرنسي التغريبي في مصر، نذكر أيضا أن بارسانتي قد رمّم أعمدة وأسوار الكنيسة الرومانية القديمة المنهارة وأقام سورا جديدا من أجل حفظ المدينة الرومانية القديمة ليكون بديلا عن ذلك السور الذي تم بناؤه من طرف مورقان المفتش السابق والمكلف بمتابعة الأعمال الأثرية بمنطقة السباخين.[46] ولا يختلف اثنان في تفسير هذا العمل الأثري إلا أنه احياء لأمجاد تاريخ فرنسا والرومنة والمسيحية في مصر، وهو من بين أهم الآثار الكبرى التي كانت فرنسا تريدها في مصر.

---

[44] - Jean Maspero, **Rapport de service des antiquités, 1911**, imprimerie national, le Caire, Egypte, 1912, p 04.

45 - Ibid, p 04. ولما يصف مسؤول فرنسي الأعمال الفرنسية بأنها متقنة فذلك لا تفسير له إلا أنها تخدم الأهداف الفرنسية بالمنطقة وتخدم أهداف الحملة التي سارت عليها أول مرة بتاريخ 1798.

46 - Ibid, p 06.

وحفاظا على طابع المسيحية في مصر دعا ماسبيرو إلى ضرورة الحفاظ على الآثار المسحية الرومانية وكذلك اليونانية المتواجدة بمنطقة القرنق، وقامت الجمعية المصرية بجهود كبيرة في ذلك من خلال لجنة التفتيش التي يقودها ماسبيرو دوما، بناء غرف جديدة بقاعة الأعمدة الكبرى بالجهة الجنوبية الشرقية التي كانت الأكثر عرضة للحت والتأثيرات البشرية وقررت ترميمها باستعمال الآجر والإسمنت خاصة الأبواب التي لابد أن تعود إلى طبيعتها القوية الأولى.[47] على عكس الآثار الإسلامية التي لم تدعُ أي جهة فرنسية لحمايتها. وهو تأثير استعماري واضح أيضا.

وفي إطار حماية الفرنسيين للآثار المسيحية بمصر، ومحاولة التأثير في المجتمع بفتح السياحة أمامه من خلال فتح أبواب المتاحف وزيارة المناطق الأثرية هذه وخدمة لتاريخ فرنسا المسيحية بمصر، واقناع المصريين أن آثار مصر هي آثار مسيحية فرعونية بعيدة عن الإسلام والمسلمين اهتم باراز (Baraize) أيضا بالآثار الموجودة على الضفة الشمالية لنهر النيل وعمل على تعويض الصخور المتحطمة من تلك الآثار خاصة صخور دير المدينة، وقد جيء ببعضها من المعبد الموجود هناك. قبل أن يتحول إلى مواصلة نشاطه بمنطقة قرنة. كما تناول بالدراسة تمثال رمسيس الثاني،[48] ورمّم تمثال الفرعون رمسيس الأول بادخال تقنية جديدة آنذاك وهي تقنية صقل الحجارة واستعمال مادة الكلس أيضا في عمليات الترميم وهي مواد لم تكن مستعملة بالطريقة العلمية قبل ذلك. كما تم التفكير رسميا في توفير الماء بالمنطقة لاستغلاله في خدمة المشاريع الأثرية وبنائها وتجديد ما كان موجودا منها منذ العهد الروماني.[49] وتمت مثل تلك العمليات دوما بقيادة باراز في مناطق دكّة والقلبشية، وكذلك فعل مع موقع ديار البحري من إيبسامبول إلى أبيدوس. وفي محاولة للتأثير ثمّن باراز اكتشافه لبعض الآبار التي كان يستعملها الرومان وحتى اليونان بمصر وهي بئر نيلومتير أو مقياس النيل.[50]

لم يكتف الفرنسيون بهذا الجهد في توظيف الآثار في خدمة تاريخهم وأمجادهم وخدمة التغريب الذي يعمل بوضوح على دفع المصريين إلى اعتناق الحضارة الغربية على النمط الفرنسي، وإلى الترحيب بالفرنسيين بكونهم مسيحيين وبكونهم يحاولون احياء أمجاد الرومان. وإنما درجوا على نشر الكتب التي أُلّفت في هذا المجال، ونذكر كتاب شامبيليون حول المتحف الملكي المصري الذي أرّخ للأثريات المصرية سواء منها الرومانية

47 - ibid, p 06.

48 - E . Grébaut, **Le Musée Egyptien, Recueil de monuments et de notices sur les fouilles d'Egypte**, Publier par Maspero, T 02, Le Caire 1907, 34 et suivante.

49 - Jean Maspero, **Rapport de service des antiquités, 1912**, imprimerie national, le Caire, Egypte, 1912, p 04.

50 - J. Maspero, **Rapport de service des antiquités, 1911**, Op. Cit , p 07.

أو الإسلامية،[51] وكذلك كتاب هنري أومون حول المهام الأثرية الفرنسية بالشرق والذي جاء في 1234 صفحة في جزأين اثنين، جاء فيها على أهم المواقع الأثرية بمصر على مختلف الحضارت لا يسعنا هنا التفصيل فيها.[52] هذا إضافة إلى المجاميع التي كان يصدرها الأثريون الفرنسيون حول الآثار التي توصلوا إلى اكتشافها بمصر، وهي ثرية وغنية جدا في هذا الجانب.[53]

وواضح أن الفرنسيين توجهوا إلى التأليف أيضا نظرا لأهميته في التأثير على المصريين من أجل تمجيد الحضارة الفرنسية واستقطاب خصائصها، وكانت أهم المؤلفات كالتالي:

Elliot Smith, Les Royal Mummies
Moret, Cercueiles de la dynastie Bubastite
Goutier, Cercueiles saites
Gean Maspero, Catalogue général.

كما تناولت الدراسات الفرنسية آثار الحضارة المصرية على عهد الأسر التي حكمت مصر قديما أو ما يعرف بالحضارة الفرعونية على مختلف الأسر التي مرت بها. وقد كان كتاب بلاكاس دولب أهم ما كتب في تلك الآثار الحضارية المصرية.[54]

وبعد أن رمّم الفرنسيون الآثار المسيحية بمصر، وبعد أن جمعوا المؤلفات المصرية منذ أقدم الحقب التاريخية، وبفعل الكتابات الجديدة المذكورة التي تعمل على اظهار مصر في طابع مسيحي بحت، أسس الفرنسيون المكتبة المصرية على هذه الأفكار المسيحية وجمعوا لها حوالي 1500 كتاب، قال عنها ماسبيرو أنها صارت ملكا للمكتبة المصرية سواء عن طريق الشراء أو الاهداء أو التبادل[55]. ونحن نضيف أنه من الواضح أيضا أن الكتب التي كان يؤلفها الفرنسيون آنذاك كانت هي الأخرى تدخل إلى رصيد المكتبة المصرية. لا لشيء إلا لتحقيق التأثير الفرنسي فيها تأثيرا فرنسيا غربيا مسيحيا ممجدا لتاريخ فرنسا.

---

51 - M. Champollion le jeune, **Lettres relatives au musée royal égyptien de Turin**, Paris, France, 1826, P 130 et suivantes. وكان هذا هو الجهد الوحيد رفقة ما كتب أومون الذي يمكن أن نقول أنه اضطر إلى التأريخ للآثار الإسلامية في مصر. بينما الكتب الأخرى وخاصة الموسوعة ذكرت المصريين بأبشع الصفات فرمتهم بالجهل والتخلف والانحطاط . يراجع في هذا مختلف أجزاء وصف مصر دون استثناء سواء في المجتمع أو في الاقتصاد أو في الحرف.

52 - Henri Homon, **Missions Archéologiques Françaises en Orient**, T 02, Paris, 1852. 1234 Ps.

53 - E . Grébaut, Op. Cit, P 517.

54 - M. Champollion le jeune, **Lettres relatives au musée royal égyptien de Turin**, Paris, France, 1826, P 130 et suivantes.

55 - Ibid , p 07.

توظيف العمل في ميدان الأثار بمصر في خدمة تاريخ فرنسا الاستعمارية وحضارتها:

انشاء المتحف المصري والمكتبة العامة:

ربما يمكننا القول أن الحضارة المصرية هي أهم حضارة في العالم من حيث الآثار التي جمعت من اليوناني والروماني والآشوري والفارسي والعربي والإسلامي والمسيحي. هذه الثروة الأثرية حاول علماء الحملة الاستثمار فيها والاقتصار على اظهار المظاهر المسيحية فيها دون التطرق إلى الآثار الإسلامية. ومن أجل هذا أنشأ نابليون بونابرت متحفا للآثار المصرية تابعا للمعهد المصري وفي خدمته. وطلب من كل أعضاء لجنة الاستكشاف بما فيهم الضباط العسكريين العمل على اثرائه بما استجد لديهم مما يخدم مصر المسيحية ومصر الفرعونية من دراسات ألّفوها عن الحضارة المصرية أو آثار اكتشفوها. ولذا كان نصب رمسيس الثاني من أوائل القطع الأثرية التي دخلت إلى المتحف المصري. وكان مونج هو مكتشف هذا النصب بالمنطقة الأثرية مومفي (Memphis)، كما اكتشف أيضا تابوتين يعودان للأسرة الفرعونية السادسة عشر بالمنطقة الأثرية ببولاق، وأخرى تحت مدارج مسجد الناصرية.[56] وبعد نابليون جاء دور شامبيليون الذي اقنع محمد علي ببناء متحف أثري يحفظ آثار مصر من النهب الأوربي من القناصلة والسياسيين وكذا من التجار.[57] كل ذلك من أجل اثراء المتحف بنشاط أثري موجّه يقتصر على تاريخ مصر القديم حتى يظهر للجميع وكأن مصر بعيدة عن الهوية العربية والإسلامية. باعتبار أن تلك الآثار كانت كلها قبل الفترة الإسلامية كما هو معروف زمنيا.

وبتأثير من شامبيليون، أسس محمد علي في أوت 1835 المتحف المصري تحت اسم دار الآثار المصرية أو كما كانت تسمى أيضا بدار العاديات، وهو مصطلح كان يطلق على القطع الأثرية. وكان مقرها بالأزبكية، ووضعها تحت مديرية (نظارة) المعارف، وكلف موظفيه الذين زودهم بوسائل الحراسة بالتنقيب عن الآثار المصرية وجمعها. وظل البحث والتنقيب بالتنسيق مع علماء مصر لا سيما شامبيليون الذي كان مهتما بحضارة مصر القديمة بعد تمكنه من ترجمة الكتابة الهيروغليفية. وطبعا ليس غريبا أن يكون الاهتمام مقتصرا على حضارة مصر القديمة للسبب الذي شرحناه سابقا وهو اظهار مصر بطابع غير إسلامي.

كانت الفترة الممتدة بين 1830 و 1849 بمثابة المرحلة الأولى من التأثير الفرنسي في مجال الآثار المصرية على الطريقة التي وضحناها، إذ تم خلال هذه السنة الأخيرة تنظيم مؤسسة الآثار على الوجه الذي يخدم الأهداف الفرنسية. وذلك بتخصيص جزء من القلعة لحفظ الآثار المصرية التي تم جمعها، والتي كانت

---

56 - Patrice Bret, Op. cit, p 214.

57 – عمر الإسكندري وسليم حسن، **تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر**، مكتبة مدبولي، ط 02، 1996، القاهرة، مصر. ص 229.

إلى ذلك الحين قليلة جدا حيث حفظت في غرفة واحدة من غرف القلعة. وكلفت نظارة المعارف في السنة الموالية (1850) الأثري الفرنسي أوجست مريت[58] (مريت باشا فيما بعد) الذي دخل مصر موفدا من حكومة بلاده لنفس الغرض وهو دراسة بعض ما يهم الفرنسيين في نهر النيل، فتحول رغبة منه إلى السهر على الآثار المصرية وتنظيمها وحفظها بطرق علمية. ونجح كثيرا في مهمته التغريبية باثراء المتحف بمختلف الآثار التي تعبر عن حضارة مصر القديمة.[59]

تقدم مشروع مريت أكثر خاصة بعد مجيء إسماعيل باشا الذي "أمر في الحال بإصلاح مخازن بولاق وتوسيعها وافتتحها بحفلة رسمية في 05 جمادى الأولى سنة 1280 هـ، 18 أكتوبر 1863 م. وشاركت مصر في معرض باريس للآثار سنة 1867.

بغية تحقيق تأثيرهم النفسي والاجتماعي في أوساط المصريين من خلال الآثار ازدادت رغبة الفرنسيين في توسيع مجال الأبحاث الأثرية هناك، فالتحق علماء فرنسيون بمصر وعلى رأسهم ماسبيرو، فوسعوا دائرة التنقيب وجمعوا الآثار وأسسوا الجمعية الجغرافية المصرية لتسهيل مهمة الرصد من أجل البحث والتنقيب.[60] وبعد وفاة مريت باشا في جانفي 1881 نقل المتحف المصري إلى الجيزة سنة 1891، ثم نقل سنة 1902 إلى مكانه الحالي قرب النيل.[61]

وإضافة إلى المتحف المصري أنشأ نابليون بونابرت المكتبة العامة من أجل تحقيق أهداف الحملة الاستعمارية والعمل على اظهار مصر مرتبطة بالمسيحية وبروما واليونان عمل نابليون على استجماع كل ما تعلق بالحضارة المصرية ومنطقة البحر المتوسط الذي كان يسميه بحيرة فرنسية. واختار لها قاعة كبيرة بجوار قصر قاسم باي موقعا. وجهزها بتجهيزات هامة على وقتها كعديد الطاولات الكبيرة، وجعل أيام الأسبوع كلها أيام عمل باستثناء عطلة نهاية الأسبوع، وكلف مجموعة من العمال المكتبيين المتخصصين يسهرون عليها وزودها بالمطبعة التي كلف بها مونج وبورتليه بالسهر عليها.[62] وسخر لها أكثر من ثلاثين عاملا مهمتهم القيام بالشؤون العلمية للمكتبة، من خلال جمع كل ما وصلته أيديهم من كتب ومخطوطات ووثائق هامة... وكتابة المذكرات وترجمة الكتب على مختلف تخصصاتها. ولما خلف الجنرال مينو نابليون بونابرت في مصر شدد (مينو) على اثراء المكتبة بجدية أكبر بغية منه في الوصول إلى أمهات الكتب والمخطوطات المتعلقة بالحضارة المصرية. وكلف فورييه بإعداد الفهرسة وزاد في ساعات العمل اليومي بالمكتبة من سبع

---

58 – محمد صبري، **تاريخ مصر الحديث من محمد علي إلى اليوم**، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1926، ص 82.

59 – عمر الإسكندري وسليم حسن، المرجع السابق، ص 229، 230.

60 – محمد صبري، المرجع السابق، ص 135.

61 – عمر الإسكندري وسليم حسن، المرجع السابق، ص ص 230 – 233.

62 – كان تأسيس المطبعة جنبا إلى جنب مع تأسيس المعهد المصري.

ساعات إلى 15 ساعة.[63] وفي هذا أدلة واضحة على ذلك التأثير الذي كان يعمل الفرنسيون على القيام به في مصر وعلى رأسه اظهارها بمظهر العالم المسيحي، وابعادها في المقابل عن خصائصها العربية والإسلامية. فكانت تلك الأعمال والمؤلفات تمارس مهمة التعتيم على كل ماهو عربي أو إسلامي في مقابل دعم كل ماهو مسيحي روماني فرعوني أو يوناني.

وبغية احداث ذلك التأثير فرض علماء فرنسا رقما مرتفعا في طريقة العمل لإبهار المصريين والاستحواذ على عقولهم وقلوبهم تسهيلا للدمج والانسلاخ والابتعاد عن خصائص حضارتهم العربية الإسلامية فكان للمكتبة نشاطا دؤوبا فاجأ علماء مصر، الذين تفاجأوا أيضا بذلك الكم الهائل من الكتب التي دخلتها ومن تلك الكتب التي ترجمت إلى اللغة الفرنسية لاسيما من طرف تلاميذ المدرسة المتعددة التقنيات بباريس الذين كان أغلبهم من أتباع التيار السانسيموني. وهو التيار المعروف بممارسة تأثيراته الفرنسية الغربية على الحضارة الإسلامية آنذاك، ومعروف بقاعدته الشهيرة التي جاءت على لسان قائده أونفونتان بأن يكون الغرب فاعلا والشرق مفعولا به. كما اعتمد الفرنسيون هنا على المسيحيين أيضا من مثل رئيس فرقة المترجمين الشاب السوري الكاثوليكي ذو الأصول اليونانية إبراهيم الصباغ المدعو ميشال، وهو حفيد زاهر عمر الزيداني وزير المالية السابق، والمبشر السابق بفلسطين. وقد استطاع الاشراف على ترجمة سور القرآن الكريم واعداد معاجم لمختلف اللغات الشرقية بقواعدها وجمع المخطوطات من المكتبات المصرية الخاصة بمختلف اللغات: العربية والتركية والقبطية...[64]

ترجمة معاني الكتابة الهيروغليفية:

الكتابة الهيروغليفية هي كتابة المصريين القدماء الذين سجلوا بها حضارة الإنسان المصري على طول نهر النيل ببلاد الكنانة، وقد "نشأت نشأة محلية أصيلة واستمدت علاماتها الهيروغليفية من الحيوانات والنباتات وبعض الأواني والأدوات المستخدمة منذ العصر الأدنى للحضارات النحاسية الحجرية، مما يدل على أنها نتاج للحضارة المصرية التي نشأت على ضفاف النيل دون غيرها".[65]

والهيروغليفية كلمة إغريقية مركبة من لفظتين هما: هيروس (Hieros) وتعني نحت، و غليفوس (Glyphos) وتعني مقدس. أي أن الهيروغليفية هي النحوتات أو النقوش المقدسة.[66] وهي كل تلك النقوش المدونة على النُّصب والعمائر.[67]

---

[63] Patrice Bret,Op. Cit, p 211.

64 - Ibid, p 212, 213.

[65] – اسراء محمد عبد ربه، الكتابة المقدسة "الهيروغليفية" المجلة الإلكترونية **كان التاريخية** ، ص 55.

[66] – علي مهران هشام، "اللغة الهيروغليفية المصرية القديمة"، بوثائق مكتبة الإسكندرية.

[67] – أسراء محمد عبد ربه، المرجع السابق، ص 56.

ولقد حاول كثير من علماء عصر النهضة تفكيك الرموز الهيروغليفية لكن بقوا عاجزين أمامها وقد اعتمدوا في ذلك على المخطوطة الوحيدة التي كانت لديهم بمدينة البندقية الإيطالية لمؤلفها هورابولون (Hieroglyphica of Horapollon) والتي كانت قد وصلت إيطاليا سنة 1422، وكان هورابولون الإغريقي قد حاول ترجمة نصوص الهيروغليفية فعجز أمامها.[68]

وحينما نذكر تفكيك الكتابة الهيروغليفية فإن الفضل في ذلك يعود إلى الأثري الفرنسي جون فرانسوا شامبيليون (شامبيليون لو جون)، الذي تمكن من فك رموزها بعد ترجمة الكتابة الموجودة على حجر الرشيد. وذلك بعد "دراسته لموقع أسماء الأعلام وتكرارها في النصوص الهيروغليفية تمكن من معرفة الأسماء نفسها وتمييزها في النص المصري".[69] وقد ساعده في ذلك معرفته للغات الشرقية ومنها اللغة القبطية، التي هي أيضا لغة مصرية قديمة. وبذلك كان "هذا الحجر (حجر الرشيد) بمثابة المنفعة الكبرى لدراسة حروف اللغة الهيروغليفية"[70]. وقد اعتبر الفرنسيون تفكيك رموزها بمصر خدمة عظيمة للحضارة الفرنسية وعملت على الإشادة بها وتوظيفها في خدمة تاريخ فرنسا الاستعمارية.

كان اهتمام شامبيليون بالآثار المصرية منذ أن أقام بمصر خصيصا لدراستها بقرار مشترك بين السلطات الفرنسية والمصرية. وكان شامبيليون قد تقدم في ترجمته هذه لاسيما بعد ذهابه إلى إيطاليا واحتكاكه بالعالم الأثري الإيطالي روسيليّي الذي صار صديقه الحميم. وانتقل معه إلى مصر حيث استطاع شامبيليون بالاشتراك مع روسيليني نشر 320 لوحة أثرية و 12 مجلدا يشرح تلك الألواح، وكانت بداية نشر هذه المجلدات في 1831 بأن يتولى أخ شامبيليون جون جاك شامبيليون المدعو فيجاك، مواصلة نشر أعمال أخيه الذي وافته المنية في 04 مارس 1832. كما تشكلت لجنة رسمية من أجل نشر أعمال شامبيليون ضمت كل من: ساسي، لوترون Le Tronne، شامبيليون فيجاك Champillion Figeac، لينورمون Lenormant، كلاراك Clarac، بيو Biot ، آيي Hayet. وقد صدر منها أجزاء خمسة بين 1831 و 1835. كما صدرت خلال الفترة الممتدة بين 1844 و 1879 مذكرات وصفية تعد تكملة لأعمال شامبيليون وروسيليني.[71]

---

[68] – نفسه، ص 57.

[69] – نفسه، ص 58.

[70] - Patrice Bret, Op. Cit, p 214. وكذلك: روبير سوليه، مصر: **ولع فرنسي**، ترجمة لطيف فرج، هيئة الكتاب المصري، مصر، 1999، ص ص 81 – 83.

71 _ Jean François Champollion_, **Monument de l'Egypte et de la Nubi**e, vol 01, Paris, France, 1835, P 14.

كانت إذن، ترجمة الكتابة الهيروغليفية مظهرا من مظاهر التأثير الفرنسي في مصر، الذي أراد من خلاله الفرنسيون بعث رسالة مفادها أن مصر فرعونية لا إسلامية وأن كتابتها هي الكتابة الهيروغليفية وليست العربية ... إلى غير ذلك من الأعمال ولو كانت تافهة حاول علماء الحملة التمسك بها مستهدفين الحضارة العربية والإسلامية في مصر.

كان إذن فك رموز الهيروغليفية من أهم الأعمال الأثرية التي قام بها الفرنسيون في مصر وذلك من خلال فك رموزها الموجودة على حجر الرشيد الذي يعود اكتشافه والتفكير في ترجمته إلى القرن الثامن عشر من طرف السيد دينشي سكولر جورج زوغا (Danish scholar Georges Zoega,). قبل أن يلعب دو ساسي دورا كبيرا في العمل على ترجمته من خلال التنسيق مع الحكومة المصرية، وعلى رأسها محمد علي لاستقدام شامبيليون. هذا الأخير الذي عكف على ترجمة معاني اللغة الهيروغليفية انطلاقا من تفكيك بعض الأسماء بعد مقارنتها باللغة اليونانية.[72]

وننقل هنا الفقرتين الأوليتين من الترجمة كما جاء بها شامبيليون:

"خلال حكم الملك الصغير الذي خلف والده كجلالة الملك صاحب التيجان العظيم الذي أنشأ مصر ومخلص للآلهة المنتصر على أعدائه والذي أعاد الحياة الكريمة للناس المشرف على احتفال الثلاثين عام العادل مثل هيفايستوس الأكبر ملك مثل الشمس. ملك القطرين الشمالي والجنوبي العظيم نجل الإله فيلوباتوريس المعترف به من قبل هيفايستوس الذي أيدته الشمس بالنصر الصورة الحية لزويس ابن الشمس بطليموس. فليعيش محبوب بتاح. في السنة التاسعة (أنا) أيتوس ابن أيتوس كاهن الإسكندرية والآلهة سوتيريس وأدولفي والآلهة أبورجاتي وفيلوباتوريس...

في اليوم الرابع عشر من شهر كساندیكوس الموافق يوم 18 من شهر أمشير المصري. مرسوم: اجتمع كبار الكهنة والمنبئين وهؤلاء المسموح لهم دخول الهيكل المقدس لخدمة الآلهة وحاملوا المراوح وكتّاب القدوس وكهنة المعابد الآخرين الآتين من جميع أنحاء البلد الذين أتوا إلى منف لمقابلة الملك بمناسبة عيد تتويجه. من بطليموس فليعيش محبوب بتاح والإله أبيفانيس أوخاريستوس الذي خلف والده. اجتمعوا في هذا اليوم في معبد منف وشهدوا أن الملك بطليموس فليعيش محبوب بتاح الإله ابيفانيس أوخاريستوس ابن الملك

72 - by Muriel Mirak Weissbach, "Jean François Champollion And the True Story of Egypt", in **The 21 Century Review**, Winter 1999 – 2000, P 27 et suivantes.

بطليموس والملكة أرسينوي الألهة فيلوباتوريس أنه محسن للمعبد وللعاملين فيه وكذلك لجميع الشعب وأنه إله ابن إله (مثل حوروس ابن إيزيس وأوزوريس المنتقم لأبيه) وأنه يقدس الآلهة."[73]

تأسيس اللجنة العلمية لاستكشاف الجزائر العلمي 14 أوت 1837:

لا يزال الفرنسيون إلى يومنا هذا يعتبرون أن الاستكشاف العلمي للجزائر من طرف علماء الحملة الفرنسية عليها عملا رائدا، وخدم تاريخ وأمجاد فرنسا الاستعمارية، وهذا ما نستشفه من القول الآتي:"إن الذاكرة الحالية تحتفظ جيدا بصورة الانزال الفرنسي بسيدي فرج واخضاع قسنطينة والحملة على زمالة الأمير عبد القادر. ولكننا لا نذكر إلا بقليل من الاهتمام أعمال اللجنة العلمية لاستكشاف الجزائر العلمي على الرغم من أنها تأخذ مكانا على نفس الأهمية من الروائع التي سبقتها في الحملة على مصر بقيادة بونابرت والعلماء الذين كان على رأسهم موري والماريشال ميزون".[74]

كانت اللجنة العلمية لاستكشاف الجزائر هذه بمثابة الشبيه الأهم بذلك العمل المفخرة لدى الفرنسيين الذي قام به قائدهم بونابرت حين غزا مصر بجيشين الأول عسكري والثاني علمي كما رأينا. فكانت هذه الموسوعة تقليدا من الفرنسيين لقائدهم في اخضاع الجزائر عسكريا، وكذلك استكشافها علميا وفتح باب تمجيد تاريخ وحضارة فرنسا عن طريق هذه الموسوعة التي يشير الفرنسيون إلى أهدافها المتمثلة في: "التمكين لعودة سياسة الرومنة التي هي ملاحظة على مستوى الأرض والدراسات"[75] في إشارة إلى الآثار الرومانية المتواجدة بالجزائر، وكذلك الدراسات التاريخية والأثرية التي تشير إلى الوجود الروماني قبل الفتح الإسلامي للجزائر. وهو توجيه فرنسي واضح ومحاولة تأثير مباشرة على العقول الجزائرية أولا وعلى كل من اطلع على مضمون أعمال اللجنة العلمية وعلى رأسها الموسوعة ثانيا. وفي ذلك اصرار فرنسي على دفع العقل البشري إلى التصديق برومانية الجزائر ومسيحيتها عبر القرون. وهذا ما يختلف مع الحقيقة التاريخية كما هو معلوم.

إضافة إلى اهتمامات نابليون بونابرت بالشرق والعمل على احتلاله واخضاعه، بل والسير بفرنسا إلى التوسع الكبير سواء على حساب جيرانها الأوربيين أو على الشرق العربي. فإن مهمة اكتشاف الشرق سادت بأوربا منذ ظهور الفكر الرومانتيكي وسيادة المدرسة السانسيمونية خلال الربع الأول من القرن التاسع عشر. ولذا ظهرت اللجنة العلمية لدراسة الماضي الفرنسي القديم (La Commission des

---

[73] – الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

[74] - MONIQUE Dondin-Payre, **La Commission d'Exploration Scientifique d'Algérie**, Paris, 1995, P 07.

75 - Ibid, p 02.

Antiquités de la France) سنة 1819 بنفس التنظيم والاهتمام الذي ستظهر عليه اللجنة العلمية لاستكشاف الجزائر فيما بعد. حيث كان كلاهما يهتم بالبحث في التاريخ الروماني والمسيحية بصفة عامة بمنطقة شمال إفريقيا، وعلاقة فرنسا وحملاتها الأولى كجزء من الإمبراطورية المقدسة. وهي نفس الاهتمامات التي قدستها أكاديمية النحوت والآداب الجميلة وواضبت عليها.[76]

مثّل ارسال قائد الأركان الفرنسي بجيش إفريقيا النقيب روزي في شهر سبتمبر من سنة 1831 لتلك المعلومات الهامة المتعلقة بالآثار الرومانية بضواحي مدينة الجزائر ووصفها لها على أنها آثارا رومانية يجب أن تلحق بالآثار الرومانية المسيحية، بداية توجه فرنسا للتفكير في انشاء اللجنة العلمية من أجل استكشاف الجزائر. خاصة بعد أن دعا وزير الحربية الماريشال سولت (الدوق دو دالماتي) أكاديمية النحوت والآداب الجميلة في نوفمبر 1833 إلى المساهمة في الأبحاث حول جغرافية موريتانيا، ودراسة تاريخ الاستعمار الروماني بها، والتأريخ لحضارتها خلال الفترة الرومانية هذه. وقد كان الماريشال مهتما بإنجاز جغرافية دقيقة لكل منطقة موريتانيا القديمة ومنها الجزائر.[77]

من أجل ذلك، أسست الأكاديمية لجنة من ستة أعضاء برئاسة السيد ش. أ. والكناير (Ch. A. Walckenaer) وبإشراف ديريو دولامال من أجل تقديم عمل جيد في هذه المهمة التي تخدم التاريخ والحضارة الرومانية بشمال إفريقيا. وهنا الهدف الأسمى الذي كانت تريد فرنسا تحقيقه بالجزائر أو ما سميناه نحن التأثير الفرنسي بالمنطقة. ولم تمر إلا مدة محدودة حتى عرفت اللجنة أن عملا كهذا يتطلب وقتا طويلا، ومجهودا شاقا، وهو ما طالبت به حيث أعلنت أنها " تحتاج إلى سنوات عديدة، وأعمال علمية ضخمة ومتنوعة، واهتمام كبير بها".[78] قبل أن تقترح في جانفي 1837 التعاون مع أكاديمية العلوم وفق تنسيق مشترك مع مراعاة ضرورة الانتباه إلى الاختلافات في مهامهما كأكاديميتين علميتين وبين الاهتمامات العسكرية للجيش.[79] والمتمثل أهمها هنا في دعم الجيش لمختلف الأفكار التي تبث الرغبة في نفوس أبنائه من أجل الرفع من معنوياتهم ودفعهم إلى مزيد من العمل من أجل الاحتفاظ بالجزائر التي يدرسونها لهم على أنها فرنسية ورومانية مسيحية، وليست عربية إسلامية لتزداد رغبة الفرنسيين والمعمرين عموما في البقاء بها والدفاع عن مصالحهم عليها. بحجة مفتراة محتواها هو أن فرنسا أحق بالجزائر من العرب الفاتحين، وأن الدين

---

[76] - Ibid, P 08.

77- Ibid, P 08.

78 - Ibid, P 08.

79 - Ibid, P 08.

المسيحي أولى بالتواجد بمنطقة شمال إفريقيا من الإسلام الدخيل على المنطقة. كما كانت تريده إدارة الاحتلال.

يعود، إذن، التفكير بصفة فعلية في تأسيس لجنة علمية مهتمة باستكشاف الجزائر العلمي إلى 14 أوت من عام 1837 تاريخ اصدار وزير الحربية الجنرال برنارد مرسوما أسس به "اللجنة العلمية لاستكشاف الجزائر" وحدد فيه المهمة التي ستتولاها وهي مهمة علمية بحتة. ويتضح ذلك من خلال مراسلته إلى الحاكم العام بالجزائر آنذاك الماريشال فالييه. حيث أخبره بأن "طبيعة مؤسستنا في الجزائر هي إلى حد الآن طبيعة علمية بحتة وليست حربية ... وإن الوقت قد حان لتقوم باكتشافات هامة". فاهتمت اللجنة منذئذ بالبحث في كل مجالات الحياة بالجزائر وجمع كل ما يهم الآثار والتاريخ. وما من شأنه أن يحدث تأثيرا فرنسيا، ويخدم توجهها بالجزائر، سواء في الجغرافيا أو الصناعة أو العلوم أو الفنون بها".[80] فبجعل الاحتلال احتلالا علميا من خلال التنقيب والدراسة في كل ما يتعلق بآداب الجزائر وفنونها وفق ما يخدم مصالح الدولة الفرنسية.[81] أصبحت مجالات اهتمامات اللجنة واسعة، زادها اتساع الجشع الفرنسي الباحث عن المبررات وتقنين الاستعباد والاحتلال بطرق يبحث لها عن شرعية. فشملت دائرة اهتمامات اللجنة مجالات الطب: وجعلت على رأسه: سار Serre، والمياه والبحرية: فريسيني Freycinet، والصناعات الجزائرية: سيقويي Séguier، والميكانيك: بونسيلي Poncelet، والزيولوجيا: ديميريل Duméril، والنبات: برونيار Brongniard، والجيولوجيا: إيلي دو بومون Elie de Beaumont، والجغرافيا والطبوغرافيا: بوري سان فانسان Bory Saint Vincent الذي سيصبح رئيسا للجنة العلمية عند تأسيسها رسميا.

تولى وزير الحربية الجنرال سولت مهمة اختيار علماء الحملة الذين يلتحقون بجيش إفريقيا لمساعدته على احتلال الجزائر، فاقترح الأمر على أعضاء أكاديمية النحوت والآداب الجميلة، واختار من بينهم من يثق فيهم. وقد ساعده في هذا الاختيار المعهد الفرنسي، الذي أضحى المشرف على عملية التأثير والاحتلال العلمي هذه. وتم اختيار اللجنة العلمية ووضع على رأسها السيد بوري دو سان فانسان واتجهت إلى الجزائر بتاريخ 19 سبتمبر 1839 حيث وصلت وهران واتجهت شرقا لتصل إلى قسنطينة مرورا بمدينة الجزائر. قبل أن تعود إلى مرسيليا بتاريخ 16 نوفمبر الموالي.[82]

---

80 - Ibid, P 08.

[81] – فريد حاجي، **السياسة الثقافية الفرنسية في الجزائر. المنطلق – السيرورة – المآل 1837 – 1937**، دار الخلدونية، الجزائر، 2013، ص 82.
وكذلك: Nabila OULEBSIR, **Les Usages du Patrimoine-monuments, musées et politique coloniale en Algérie 1830 – 1930**, Maison des sciences de l'homme, Paris, 2004, P 324.

[82] – حاجي، المرجع السابق، ص 82.

من الواضح إذن أن هدف علماء فرنسا منذ دخولهم أرض الجزائر وما ترتب عليه من تأسيس هذه اللجنة هو البحث عن كل المصوغات ولو كانت غير موضوعية لتمجيد تاريخ فرنسا المستعمرة وتبرير الفعل الاستعماري الفرنسي بالجزائر. ولذا نجدهم (العلماء) وكذا القادة العسكريون يبحثون عن كل ما يتشبثون به للتدليل على مسيحية الجزائر أو انتماء الجزائر إلى الحضارة المسيحية. فبعد العزم على تشجيع الهجرة الأوربية إلى متيجة لتكون الحصن المنيع في الدفاع عن مدينة الجزائر وعن السلطة الإدارية الاستعمارية بها أمام تقدم قوات الأمير عبد القادر. والتي قال عنها قادة الاستعمار "إن قضية الجزائر في الوقت الراهن هي تعمير المتيجة بالمسيحيين، وعلى الحكومة أن تعمل في هذا الاتجاه، وذلك هو ثمن نجاح فرنسا في إفريقيا".[83]

هذا وقد شعرت الإدارة الاستعمارية منذ سقوط قسنطينة أنها بدأت تتحكم في الوضع وتديره حسب ما تراه مناسبا لمصلحتها الاستعمارية ومصلحة المعمرين. فكشفت عن نواياها في تجاوز الحقيقة التاريخية بالتمهيد لربط الجزائر بروما وبالحضارة المسيحية. فأشار كافينياك إلى الوجود الروماني بالجزائر بقوله:" بما أنها (روما) قد حكمت هنا فما علينا إلا أن نواصل عملها" وقد فسر الجنرال "أوبوس" مترجم حياة كافينياك مغزى كلام هذا الأخير، قائلا:" كان (كافينياك) يجمع بمنتهى العناية كل الشواهد المتصلة بالاحتلال الروماني مهما كانت صغيرة لكي يقتفي الأثر الذي تركه هؤلاء الفاتحون المثاليون. كان شديد الإعجاب بأساليبهم العسكرية ومجدهم الذي طالما تحدثت عنه الكتب. وكان خبيرا في الآثار، فاهتم اهتماما كبيرا بالحفريات، فأمر بإجرائها كي يستخرج الآثار التي تبرهن للبدو بأن للأوربيين حقوق قديمة في امتلاك البلاد". ويضيف أوبوس قائلا: "لقد قام بتجديد كنيسة قديمة...ولم يكن هذا الجمهوري يستاء إذا قيل عنه أنه من الرهبان ... فقد كان حلمه أن يجدد بناء المعبد المتهدّم فوق نفس الأساس القديم، وأن يهديه إلى روح الأسقف ريبراتوس. واستعان في مشروعه هذا بأحد الرهبان... فما كان منه إلا أن لبى طلبه وجاء لينحني اجلالا على رفاة سلفه، ولإعداد ما يلزم لاستئناف العبادة بين جدران كاستيلوم تانجيتانوم المشيدة".[84] وهذا دليل واضح على الروح المسيحية والدافع الكبير الذي كان يدفع الفرنسيين والمتمثل في ربط الجزائر بروما بمختلف الأدلة مهما كانت صغيرة. وقد تمثل هذا التدليل في تحريف علماء الحملة الفرنسيين للحقيقة التاريخية حين فسروا الاحتلال الروماني لشمال إفريقيا على أنه ليس احتلالا وإنما كانت الجزائر رومانية مسيحية. وذلك بغية احداث التأثير النفسي والاجتماعي في أوساط المعمرين والجزائريين وكذا في أوساط جيش الحملة.

---

[83] – نفسه، ص 83.

[84] – حاجي، المرجع السابق، ص 84. نقلا عن مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، ص 283، 284.

ومن الملاحظات الهامة التي يمكن الإشارة إلى أن علماء جيش الحملة قد عملوا على تفسيرها تفسيرا مجانبا للحقيقة هي اهتمامهم بالتاريخ والجغرافيا وأصول السكان والرسم والآثار. وهو ما تجلى في كتابات بيليسيي وبيربروجر وكاريت وأونفونتان وأوربان ودولامار .... وغيرهم. ولذا كانت هذه المجالات هي كبرى مجالات اهتمامات دراساتهم من أجل التعرف على الجزائر التي كانت فرنسا تجهلها جهلا تاما تقريبا. حيث أن "الفرنسيين لم يكونوا –باعترافهم– يعرفون عن الجزائر الشيء الكثير، ولذا بدأت نقاشات حادة بين الفاعلين من الفرنسيين حول موضوع الاحتفاظ بالجزائر فرنسية أم العودة إلى باريس. فأخذت فرنسا فترة دراسة وتجريب امتدت على أربعة سنوات على المستوى الرسمي (1830 – 1834) وهي الفترة التي تعرف تاريخيا بمرحلة التردد. لكن هذه الفترة –في حقيقة الأمر– قد تجاوزت ذلك في أذهان أصحاب القرار من الفرنسيين".[85]

كانت فرنسا تعتبر النجاح في مهمتها العلمية لتخدير العقل الجزائري أولا وكل المهتمين ثانيا ورسم صورة أخرى للجزائر تبعدها عن حقيقتها الإسلامية وتظهرها بمظهر المسيحية ذات التاريخ المشترك مع روما وليس مع العرب والمسلمين والحضارة الشرقية، فكانت تعتبر ذلك تحديا كبيرا على عاتق علمائها العاملين بالجزائر. وفي هذا الإطار تكونت اللجنة العلمية لاستكشاف الجزائر إثر قرار وزير الحربية بتاريخ 18 أوت 1839 من 21 عضوا، منهم 10 عسكريين و 11 مدنيا. قبل أن يأتي قرار 1840 الذي نص على عدم تجاوز أعضاء اللجنة الأربعة والعشرين عضوا في كل الحالات وأضاف هنا 06 أعضاء منهم عضوين اثنين أساسين هما رينو (Renou) ورافوازييه (Ravoisié) الذي عوض فودوييه (Vaudoyer) وعضوين آخرين إضافيين هما النقيب دولامار (Delamare). وكذلك غيشنو (Guichenot) ملحق مكلف بالتاريخ الطبيعي، والسيد بيرييه (Perrier) وهو جرّاح، وأخيرا مترجمين اثنين وهما: توماس أوربان، وسشوسبوا (Schousboa)، وكان مسؤول اللجنة هو الكولونيل بوري دو سان فانسان: (Bory de Saint Vincent).[86]

ولد بوري دو سان فانسان في 06 جويلية 1778 بآجان (Agen) عالم متخصص في علم النبات والحيوان. انخرط سنة 1799 في الجيش الفرنسي كمختص في علوم النبات والحيوان قبل أن ينجح في اختيار الطب وهو بالجيش بمنطقة ران. وفي أكتوبر من سنة 1800 عمل كعالم حيوان مع النقيب بودان (Baudin) بجزر موريس (جزر فرنسا او الجزر الجميلة). قبل أن يعود إلى فرنسا ويبقى على التنسيق مع

---

[85] – مصطفى عبيد، "أونفونتان وفلسفته في تنفيذ الاستعمار الفرنسي بالجزائر 1839 – 1841م"، **بمجلة الآداب والحضارة الإسلامية**، ع 15، جوان 2013، ص 299، 300.

86- MONIQUE, Op. cit, Annex 03, p 79.

علماء أوربا آنذاك المختصين في علم النبات.. وفي 20 جوان 1808 اتجه إلى جيش البرتغال كمبعوث من أكاديمية العلوم، كما مر رفقة كل من ناي (Ney) ثم الجنرال سولت بالجيش الإسباني الذين رافقاه إلى ألمانيا سنة 1813. وهناك نشطوا في المهام العلمية خاصة علم النبات والطبوغرافيا. كما انتخب سان فانسان نائبا في البرلمان لكنه نفي سنة 1815 بسبب هزيمة نابليون بونابرت وأحداث ونتائج مؤتمر فيينا. قبل أن يعود إلى فرنسا سنة 1819. وانعكف على اعداد المعجم الكلاسيكي للتاريخ الطبيعي خلال الفترة بين 1822 و 1831. وحرر كثيرا من المقالات الهامة.[87]

ومن المهام الكبرى التي تولاها فانسان هي مسؤولية لجنة موري خلال الفترة الممتدة على سنوات 1825 – 1828 والتي تمثلت مهامها في تنسيق وترتيب الأعمال التي أنجزها علماء الحملة من أجل الاعداد لطبعها في الكتاب الضخم "موسوعة وصف مصر" قبل أن يعود إلى النيابة البرلمانية من جديد ممثلا عن أكاديمية العلوم، في نوفمبر من سنة 1834. وأصبح رئيسا للجنة العلمية لاستكشاف الجزائر إلى غاية سنة 1840 فتولى من جديد تلك المسؤولية الضخمة المشابهة لما قام به مع لجنة موري حول وصف مصر. وذلك بعد أن كان نائبا خلال ثورة 1830 واستقال من البرلمان بسببها.[88]

كما ضمت اللجنة أعضاء دائمون هم: السكريتير: النقيب أنطوان أرنست هيبوليت كاريت: (Le Ctne Antoine Ernest Hippolyte Carette)، وفي علوم الفيزياء نجد جورج آمي: (George Aimé)، والنقيب أ. دونوفو: (C^tne E. Deneveu)، وجيرار بول دوساسي: (Gérard Paul Deshayes)، والنقيب ميشال شارل دوريو: (C^tne Michel charles Durieu)، وأ. غيشنو: (A. Guichnot)، والنقيب جون جاك لوفايون: (C^tne Jean Jacques Levaillant)، وبيار هيبوليت لوكا: (Pierre Hippolyte Lucas)، وهنري رافارجي: (Henri Ravergié)، والنقيب إيميليان رونو: (C^tne Emilien Renoux)، وفايون: (Vaillant)

أما في علوم التاريخ والإنسان فنجد: النقيب أنطوان أرنست هيبوليت كاريت: (Le C^tne Antoine Ernest Hippolyte Carette)، ولويس أدريان بيربروجر: (Louis Adrien Berbrugger)، وبروسبير أونفونتان: (Prosper Enfantin) صاحب الكتاب الشهير (Colonsation de l'Algérie).

أما الأعضاء المؤقتون فضمت اللجنة: نيكولا أدولف دو بارو: (Nécolas Adolphe de Barreau)، ونيكولا بوفي: (Nécolas Bové)، وقائد هيئة الأركان النقيب بريكو: (Le C^tne Pricot)، والمهندس ليون فودوابيه: (Lyon Vaudoyer)، وإيميل بيّون دو بوبلاي: (Emile Puyon de Boblay)،

87- Ibid, p 80.
88 -MONIQUE, Op. cit, Annex 03, P 80.

والدكتور جون لويس جونيفياف غويون: (Docteur Jean Louis Geneviève Guyon)، والدكتور شارل مونار: (Docteur Charles Monard)، والدكتور باسكال مونار: Docteur Pascal Monard ، والكومندون هنري جون فرانسوا: (Commandant Henri Jean François Edmonde Peléssier de Rrynaud)، والدكتور جون أندري نابليون جوانّي باريه: (Jean André Napoléon Joanny Perrier)، والدكتور أوغست هوبار وارنييه: (Docteur Auguste Hubert Warnier). كما ضمت متخصصين في الفنون الجميلة، كان أرزهم النقيب بروسبير باكي: (Prosper Baccuet)، والنقيب أدولف إيدويج ألفونس دولامار: (C^{tne} Adolphe Hedwige Alphonse Delamare)، وأمابل رافوازييه: (Amable Ravoisié)، ولويس أنسالم لونغا: (Louis Anselme Longa)، وأرثور مورلييه: (Arthure Morelet).

توظيف الآثار بالجزائر في خدمة التغريب وتاريخ فرنسا وتمجيد روحها المسيحية:

لم يكن عمل الفرنسيين بالجزائر عملا اعتباطيا أو سطحيا، بل كان عملا مدروسا جامعا شاملا وعميقا. يهدف إلى خدمة أهداف الحملة الفرنسية، ويستكمل ما بدأوه في مصر. ألا وهو العمل على فصل الجزائر عن هويتها الحضارية العربية والإسلامية، بالاعتماد على الشواهد التاريخية والأثرية لحقبة ما قبل التاريخ وكذا فترة ما قبل ظهور الإسلام، وتعميم تلك الخصائص على كل تاريخ الجزائر، وهو تعميم مارست فيه التعتيم على الحقيقة التاريخية، لأن فترة ما قبل ظهور الإسلام تميزت منطقيا بخصائص المسيحية التي اعتنقها الجزائريون خصوصا وسكان شمال إفريقيا عموما، كما تميزت أيضا بالوثنية واللا دينية وهو أمر منطقي قبل ظهور الإسلام. لكن علماء فرنسا حاولوا من خلال تجربتهم في دراسة الآثار الجزائرية تعميم هذه الأحكام على الجزائريين ليوهموا الجزائريين أنفسهم أن فرنسا أحق بالجزائر من العثمانيين بعد أن يقتنع الجزائريون من الطابع المسيحي للآثار ومن الطابع الروماني الذي أراد الفرنسيون أن يعمموه على تاريخ الجزائر ربطا لها بالمسيحية والرومنة.

من أجل ذلك عمل بيربروجر على تنظيم الجهود العلمية الفرنسية بالجزائر وحفظها، تأسيا بما قام به نابليون في مصر، ونظرا للسمعة العلمية الكبيرة التي ظل يتمتع بها كتاب وصف مصر منذ طبعه سنة 1822. ونتيجة لكل تلك الاهتمامات جاء تأسيس الجمعية التاريخية الجزائرية وكذلك مجلتها المسماة بالمجلة الإفريقية.

تأسيس الجمعية التاريخية الجزائرية ومجلتها المجلة الإفريقية:

من التأثيرات الثقافية العميقة التي قامت بها فرنسا بالجزائر بغية التغريب والفرنسية وخدمة المسيحية والرومنة وخدمة تاريخ فرنسا وحضارتها نذكر تأسيسها للجمعية التاريخية الجزائرية (La société historique

Algérienne) ومجلتها المجلة الإفريقية (La Revue Africaine) التي ظهرت للوجود في عددها الأول سنة 1856. وكانت بمثابة سجل الأعمال اليومية للجمعية التاريخية (Journal des travaux de la société historique Algérienne)، وكانت أول الأمر تصدر مرة كل شهرين في 04 إلى 05 صفحات. وبسعر 12 فرنك على طريقة الاشتراك السنوي بالنسبة لغيري أعضائها وباشتراك سنوي يقدر ب 08 فرنك بالنسبة لمراسليها والناشرين بها. وقد كانت المراسلة ترد إليها على عنوانها المسجل كالآتي:

" a M. Berbrugger, président de la société historique Algérienne, Rue de Lotophages, Alger" à 18. وكانت إدارة المجلة تترك للكاتب حرية الاختيار بين أن يذكر اسمه وبين أن يكتفي بنشر مقاله تحت اسم مستعار.[89] مما يوحي بالخوف والرعب الذي كان يسكن الفرنسيين من المقاومة الشعبية.

وتمويها عن أهدافها الاستعمارية، جاء في مقدمة العدد الأول من المجلة الإفريقية أن " الجمعية التاريخية الجزائرية هي مؤسسة الرجال النزهاء، وهي إضافة هامة. مسخرة جهودها لنشر أعمالها باعتبار أنه لا يكفي الانتماء لمركز دعم وإدارة القوى الفردية للعمال، ولذا على الأقل تقديم ورقة خاصة من شأنها أن تبين للشعب وبوضوح أن نتائج هذه الجهود، وكذا المجهودات الشاقة التي يبذلها الرجال، سوف تنال المكافأة الكبرى وتطمح إلى الاستزادة".[90]

كما وصفت الجمعية التاريخية الجزائرية مجلتها بقولها:" أما مجلتنا المجلة الإفريقية فلنا أيضا الشرف أن نسد ثغرة علمية ونساهم في مقاربة لهذه الأمة التي تسير على رأس الحضارة الأوربية".[91] وهو دليل واضح على الرغبة الفرنسية في اظهار الجزائر على طابعها الأوربي الغربي لا على الطابع العربي الإسلامي.

اجتمع الأعضاء المؤسسون للجمعية التاريخية الجزائرية بتاريخ السبت 08 مارس 1856 وأرسلوا طلب التأسيس إلى الحاكم العام بالجزائر آنذاك وهو الماريشال الكونت راندون مرفقا بإمضاءاتهم جميعا ومبينا الهدف من تأسيس الجمعية وهو كالتالي:"نحن الممضون أسفله لنا الشرف أن نتصل بسيادتكم من أجل السماح لنا بتأسيس جمعية تاريخية جزائرية. وقد أرفق الممضون الوثائق التالية:

1- بيان برنامج يوضح الهدف من تأسيس هذه الجمعية المزمع تأسيسها.
2- نسخة من القانون الأساسي المتعلق بكيفية تسيير الجمعية مستقبلا.
3- القائمة الاسمية للأعضاء المؤسسين.

---

[89] - La société historique Algérienne, **R. A**, T 01, 1856, a la une. ونشير هنا إلى أن اللجنة العلمية لاستكشاف الجزائر العلمي وتأسيسها وأهدافها هي أيضا من التأثيرات الفرنسية الحاصلة بالجزائر.

[90] - Ibid, de l'introduction.

[91] - Ibid, p 04.

وانطلاقا من المصلحة التي تحملونها لخدمة الجزائر، نأمل سيادة الحاكم العام السماح بتأسيس جمعيتنا، ذلك أن الأعمال المنجزة حاليا عن ماضي الجزائر لا يسمح لنا بتحقيق ما تصبو إليه فرنسا حاليا من تمدين هنا بالجزائر. لأنه ينبغي لنا القاء الضوء على الأعمال المجهولة و المنسية، وفي الوقت نفسه العمل على محاولة حفظ آثارنا التاريخية من الضياع... من أجل هذه الأسباب إننا نأمل سيادة الحاكم العام الموافقة على تأسيس منشأتنا الجمعية التاريخية الجزائرية".[92] إمضاء المؤسسين. وهم: بيربروجير: BERBRUGGER محافظ مكتبة ومتحف مدينة الجزائر. وعين رئيسا لمكتبها المؤقت هذا. دوسلان (البارون): SLANE مترجم رئيسي عسكري.[93] عين نائبا للرئيس بيربروجير. وكليرك: CLERC مترجم عسكري من الدرجة الثانية. عين كاتبا عاما. و م. بيكي: M. M. BEQUET مستشار مدني مقرر بمجلس الحكومة. وبيرار: BERARD قابض الطوابع البريدية. وبروني: BRUNI أستاذ كرسي اللغة العربية بمدينة الجزائر. ودوفو: DEVOULX محافظ الأرشيف العربي بمصلحة أملاك الدولة (الدومين). وألمور: ALMORE نائب رئيس مجلس إنجلترا. وشوسبوي: SCHOUSBOE مترجم رئيسي عسكري. وماك كارتي (Mac-Carthy). وتوماس (Thomas). وجوليسييه (Jolissies)[94]. وواضح من خلال محتوى الطلب أن عمل المجلة الإفريقية إنما يتمثل أساسا في اظهار تلك الآثار التي تربط تاريخ الجزائر بأوربا وبالرومنة. وأن تلك الآثار التي سماها الطلب "آثارنا" إنما هي الآثار الرومانية المسيحية بالجزائر. وفي ذلك الدليل الكافي على عمل فرنسا على ممارسة فعل التأثير عن طريق الآثار لاظهار الجزائر رومانية مسيحية غربية.

وفي محضرها الأول ألزمت الجمعية أعضاءها بكتابة تاريخ الجزائر ونشره.[95] وكان أول عمل تاريخي قدمه أعضاء الجمعية هو عمل رئيسها بيربرجير حول قبر الرومية (Le Tombeau de la Chrétiènne) وذلك بتاريخ 20 مارس 1856. باعتبار أن اظهار طابع المسيحية والرومنة هو أكبر هدف أسست له المجلة كما ذكرنا.

وفي الجلسة الثانية المنعقدة يوم 08 مارس الموالي انضم عضوان جديدان للجمعية هما غالينيي (GALINIER) رئيس كتائب هيئة الأركان والذراع الأيمن للماريشال الكونت راندون. وكذلك المهندس الجغرافي ماك كارثي (Mac-CARTHY). ثم تواصل الانضمام إليها بعد ذلك.[96]

---

[92] - Ibid, p 10.
[93] - R. A. Ibid, p 11.
[94] - ANOM, GGA, B F 80, 7 X 16. Et R A, N 01, 1856, P 11. وقد اقتصرت المجلة الإفريقية في عددها الأول على ذكر الأعضاء التسعة الأوائل فقط. أما طلب الاعتماد المرسل والذي لدينا منه نسخة أرشيفية فيشير إلى هؤلاء الأعضاء الاثنا عشر بإمضاءاتهم، يرأسهم بيربروجير بصفته رئيسا مؤقتا للجمعية التاريخية الجزائرية.
[95] - R A, N 01, 1856. p 12.
[96] - Ibid. p 12.

وخلال الجلسة الخامسة بتاريخ 02 ماي 1856 تم تعيين المكتب الرسمي المسير للجمعية التاريخية الجزائرية وكان كالتالي:

1- بيربروجير رئيسا

2- البارون دوسلان نائبا اول.

3- الكولونيل دونوفو (De NEVEU): نائبا له.[97]

4- بريزنييه (BRESNIER) وكان قد أنضم أيضا: كاتبا عاما للجمعية.

5- بيرار: أمين المال بالجمعية.

وبعد تحرير أعضائها لمقالاتهم وأعمالهم العلمية تقرر بتاريخ 06 جوان 1856 الاعداد لنشر أول عدد من المجلة الإفريقية وتقرر تحويل يوم عقد الجلسة الأسبوعية العادية لأعضاء الجمعية من يوم السبت إلى يوم الجمعة وذلك بداية من الجلسة العادية ليوم الجمعة 04 جويلية 1865، والتي تمت فيها الموافقة الرسمية على اللجنة العلمية للمجلة الإفريقية وشملت الأعضاء الآتية أسماؤهم:

بيرتراند، بريزنييه، دو سلان، فيل (VILL) وكان قد أنضم هو الآخر إلى الجمعية في جلسة يوم 06 جوان 1856، الرائد غالينيي، كليرك.

كان إذن بيربروجير هو أول رئيس للجمعية التاريخية الجزائرية وهو رئيس تحرير المجلة الإفريقية. من عددها الأول سنة 1856 إلى أن وافته المنية بعد صدور 12 عددا، حيث توفي بتاريخ 02 جويلية 1869 بعد معاناة مع المرض وخلفه شاربونو (Charbonnaux) ابتداء من جلسة 13 جويلية 1869 حين انتخبه زملاؤه رئيسا عليهم. ولم يكن بيربروجير المتوفى الوحيد خلال أيام قلائل في حياة الجمعية من هذه السنة وإنما كان نائبه الأول هو بريزنييه (Bresnier) وأستاذ كرسي اللغة العربية كذلك إذ وافته المنية وهو بالمكتبة الوطنية متأهبا لإلقاء درسه على تلامذته بتاريخ 21 جوان 1869.[98]

---

[97]- Ibid, p 13, 14.

وكان دونوفو قد انضم إليها هو الآخر خلال هذه الجلسة فقط رفقة كل من رولان دو بوسي (ROLAND DE BUSSY) مدير مطبعة الحكومة العامة، وبيرتراند (BERTHRAND) رئيس تحرير مجلة لا غازات الطبية (La Ghazette médicale)، وأنسولين (ANSELIN) مفتش الأشغال المدنية، ودو روجمونت (De ROUGEMONT) مهندس من الدرجة الأولى مختص في الجسور والقنوات، وفنان في الكتابة الحجرية، وسيمون (SIMON) أستاذ الرياضيات بالثانوية الملكية بمدينة الجزائر)، ودوباي (DEPEILLE) مدير إحدى مدرستي العرب- فرنسية. والسيد غورغيوس (GORGUOS) أستاذ العربية بالثانوية الملكية، ولاتور (LATOUR) نحّات

[98] - R A, N 13, 1869.

الدراسات والتآليف الأثرية مظهر من مظاهر التغريب والرومنة وخدمة تاريخ فرنسا الاستعمارية:

مثلما رأينا، وفي إطار القضاء على الطابع العربي والإسلامي للجزائر لإظهارها بمظهر المسيحية، عمل مثقفو الحملة الفرنسية وعسكريوها بالجزائر على الاهتمام بتاريخ الجزائر وآثارها لا سيما منه ما يربطها بالحضارة الرومانية لتبرير عملية الغزو والاحتلال، وتبرير الاستيطان والبقاء بالجزائر. ولذا لم تهتم دراسات الفرنسيين هذه بالجوانب الأثرية الإسلامية بالجزائر إلا قليلا مقارنة باهتمامها بدارسة الآثار المسيحية. وقد سهر على محاولة ابراز رومانية الجزائر جملة من علماء فرنسا، كان على رأسهم بيربروجر ودولامار، وألبير، وشارل بروسلار، وشارل فيرو، ولكليرك، وهانوتو، وبول، وماسكوراي. قبل أن يكمل العملية خلال القرن العشرين أثريون فرنسيون آخرون على شاكلة كلاين، وألازار، وليسبيس، وكوترو، قولفان، ومارسييه، وأوديان. وهم كلهم مؤلفون معروفون بنزعتهم الاستعمارية الواضحة في كتاباتهم.

ومن بين تلك الدراسات الأثرية التي اشتملت عليها موسوعة استكشاف الجزائر العلمي والتي ظهرت كنتيجة مباشرة للتأثيرات الأثرية الفرنسية بالجزائر، نجد الكتاب الذي نشره دولامار. والذي حاول أن يجعل منه موسوعة للآثار المسيحية بالجزائر. متجاوزا الآثار الإسلامية ومتناسيها لأنها لم تكن تعنيه في اهتماماته ولا في ما يريد تقديمه من أفكار لقرّاء كتابه.

ويشير دولامار أن دراسته هذه للآثار بالجزائر ليست دراسة شاملة، وإنما "هذه الدراسة هي استكمال ومواصلة لما بدأناه منذ سنة 1840 وإلى غاية سنة 1845، وقد شملت المناطق التالية: "دلس، بجاية، جيجل، سكيكدة، سطورا، طريق سكيكدة قسنطينة، الحروش، توميات، سمندو".[99] وإذا كانت دراسة دولامار ليست دراسة شاملة لمختلف الآثار المتواجدة بالجزائر فهي أيضا دراسة موجهة تناولت فقط عرضا للآثار الرومانية بالجزائر دون غيرها من الآثار الأخرى ذات الطابع الإسلامي.

كما يشير دولامار أيضا إلى أن كتابته هذه عن الآثار بالجزائر والنقوش التي نشرها بالموسوعة كان قد أنجزها خلال مهامه العسكرية كقائد مدفعية في جيش إفريقيا، وذلك خلال مرافقته للعمليات العسكرية التي كان قد قادها الجنرال غالبوا لإخضاع الشرق الجزائري، لا سيما منطقة الحراكتة التي ضمت سيقوس (بأم البواقي حاليا)، وبوعثمان، وعين بابوش، وبرج السطح. وكذلك السهول الممتدة بين قسنطينة وسطيف خاصة مناطق أولاد عبد النور ووادي العثمانية وبوعصّة، وتاشودة.

كما تطرق دولامار في دراسته هذه أيضا إلى الآثار الموجودة بمنطقة سطيف وضواحيها لا سيما غوجيل ورأس الوادي وجميلة وعين الترك وميلة ومونس. أما الآثار المتواجدة بأقصى الشرق الجزائري بضواحي

[99] - A. Delamare, **Archéologie**, in l'Exploration Scientifique de l'Algérie, 1840 – 1845, Imprimerie nationale, Paris, 1850. P 01.

قسنطينة فقد نشر بعضها دولامار متمثلة في بعض آثار الصومعة، وقصر مجوبة، وعنونة، وحمام المسخوطين، ومجاز عمار وقالمة وحمام باردة وأسكور وعنابة والقالة.

ومن آثار الجنوب الجزائري، تطرق دولامار إلى المناطق التابعة إداريا إلى إقليم قسنطينة فعرّج على بسكرة ونشر بعض آثارها الرومانية وذلك خلال الحملة الفرنسية على أولاد سلطان سنة 1844 والتي قادها الدوق أومال. وقد وصف دولامار بسكرة بقوله:"هذه المنطقة الشرقية بالجزائر، هي المنطقة الأغنى بالآثار القديمة، وقد بقيت مجهولة تقريبا إلى غاية حملتنا على المنطقة، ولذا سنعمل ما في وسعنا من اجل الوصول إلى باتنة حيث المدراسن، ولامبيز، والقنطرة، ونقاوس، وطبنة، وبسكرة، وسيدي عقبة".[100]

ومن المفيد هنا أن نذكر أن اللوحات والنقوش التي نشرها دولامار تضم نقوشا مادية، وبقايا عمرانية، وفسيفساء رومانية كانت عادة ما تكون بلونيها المقدسين عند الرومان، وهما اللون الأصفر واللون الأحمر. ومنحوتات أو نصب تذكارية ترمز بصفة خاصة لآلهة الرومان أو الشخصيات العظيمة، وكتابات أثرية رومانية. مع الإشارة إلى قليل من الآثار الإسلامية مثل المزهريات، والتيجان كالتاج الكورانتي والتاج الدوري.... وبعض اللوحات التذكارية لمعابد وشواهد قبور متعددة تعود إلى فترات مختلفة رومانية وإسلامية بما فيها الفترة العثمانية، فرضها عليه تداخل الآثار، مع التركيز دوما وبصفة مطلقة على النقوش الرومانية التي جاء الكتاب حافلا بها.

أما دوفو فقد تناول بعضا من الكتابات التذكارية العربية والعثمانية، والمعالم الدينية بمدينة الجزائر العتيقة كما اهتم كسابقيه بالبحث والتنقيب عن الآثار الرومانية بالجزائر لتبرير الاحتلال بالدرجة الأولى ولنشر تراث الحضارة الرومانية بالدرجة الثانية، وإن خدم ذلك التراث الجزائري أو تاريخها فإن ذلك سيكون من نافلة القول والعمل.[101]

يمكن أن نذكر في هذا المجال من الدراسات المتخصصة ذات العمق والجدية في خدمة الأهداف الاستعمارية بالجزائر لا سيما اظهار الطابع المسيحي والروماني، أعمال أدريان بيربروجر التي بدأها بالتنقيب عن قبر الرومية والذي نشره في أول أعداد المجلة الإفريقية. وكأنه شدُّ الحنين إلى رومانية الجزائر في فكر بيربروجر. وهو المتعطش لكتابة تاريخ الجزائر القديم وفق ما يعكس النظرة الفرنسية من أجل رومنة الجزائر والذي أسس المكتبة الجزائرية ومتحف مدينة الجزائر وأسس الجمعية التاريخية والمجلة الإفريقية، كل ذلك من

---

[100] - Ibid, p 02.

[101] – يراجع في هذا: شارل بروسلار، **كتابات شواهد وقبور سلاطين وأمراء بني زيان الملتقطة من روضاتهم الملكية بمدينة تلمسان**، تر. تق. الزقي شرقي، م. و. ف. م. الجزائر، 2011، ص 05. وكذلك: تصدير ناصر الدين سعيدوني لكتاب محمد الطيب عقاب، **قصور مدينة الجزائر في اواخر العهد العثماني**، دار الحكمة، الجزائر، 2000، ص 07.

أجل الوصول إلى رومانية الجزائر ومسيحيتها عبر التاريخ. وبفعل حرصه الشديد على خدمة أهداف الحملة انتخب آنذاك للمرة الخامسة على رأس الجمعية التاريخية والمجلة الإفريقية. ومن مقالاته تلك نذكر:

1- مقاطعة تنس في التاريخ القديم.[102]
2- آثار مدينة أرزيو القديمة.[103]
3- قبر من الرخام.[104]
4- سجل مكتبة متحف مدينة الجزائر. وجاء في دراسة مطولة قسمها بيربروجر على ثلاثة أقسام بنفس العدد من المجلة.[105]
5- ضواحي مدينة الجزائر (إيكوزيوم)، دراسة أثرية. وقد درسها أيضا دراسة موسعة جاءت في ثلاثة مقالات بنفس العدد.[106]
6- الكتابات الأثرية بسور الغزلان.[107]
7- ملاحظات حول الكتابات الأثرية بسور الغزلان.[108]
8- جرد للنوقشات الرومانية الموجدة حاليا بمليانة.[109]
9- استكشاف قبر الرومية.[110]
10- قبر الرومية.[111]

وإضافة إلى تلك المقالات نشر بيربروجر كتابين آخرين هما:

1- الجزائر التاريخية، جماليات وآثار: (Berbrugger, L'Algérie historique, Pittoresque et monumentale, Pais, 1843. 03 Vols)

2- مكتبة متحف مدينة الجزائر (Birbrugger, Bibliothèque musée d'Alger, Alger, 1860)

102 - A. Berbrugger, "Antiquité de cercle de Tenes", in **R. A**. N 02, Année 1857
103 - A. Berbrugger , "Ruines du vieil Arzeu", in **R. A**. N 02, 1857.
104 - A. Berbrugger , " Tombeau en marbre ", in **R. A**. N 02, 1857.
105 - A. Berbrugger , "Livret de la Bibliothèque et du Musée d'Alger", in **R**. **A**, 04, 1860.
106 - A. Berbrugger, "Archéologie des environs d'Icosium (Alger", in **R. A**. N 05, Année 1861.
107 - A. Berbrugger, Epigraphie d'Auzia (Aumal), in **R. A**. N 07, 11, Année 1863, 1867.
108 - A. Berbrugger, "Remarque sur les inscriptions d'Auzia", in **R. A**. N 07, Année 1863.
109 - A. Berbrugger, "Inventaire des inscriptions romaines actuellement à Miliana", in **R. A**. N 09, Année 1865.
110 - A. Berbrugger, "Exploration de tombeau de la chrétienne", in **R. A**. N 10, Année 1866.
111 - A. Berbrugger, "Tombeau de la chrétienne", in **R.A**. N 11, Année 1867.

وإضافة إلى كتابات بيربروجر في العمل على الحاق الجزائر بالغرب والمسحية والفرنسة، نذكر أيضا جهود ألبير دوفو (Albert DEVOULX) التي نشرها على شكل مقالات بالمجلة الإفريقية بين 1861 و 1870 ثم أخرجها في كتاب سنة 1874، وهو أيضا جهد كبير لخدمة أهداف الحملة. ونذكر من تلك الكتابات:

1- ملاحظات تاريخية حول المساجد والبنايات الدينية بالجزائر. بالمجلة الإفريقية.[112]
2- مدينة الجزائر، دراسة أثرية وطوبوغرافية.[113]
3- المنشآت الدينية في مدينة الجزائر العتيقة.[114] وقد نشرها على حلقات متتالية في أعداد المجلة الإفريقية على امتداد سنوات 1862 – 1872.
4- قبر سيدي أحمد بلحسن الغماري.[115]
5- الكتابات الأهلية بالمتحف الأثري بمدينة الجزائر.[116]

كما طبع كتابا تحت عنوان: الكتابات الأثرية الأهلية بالمتحف الأثري بمدينة الجزائر، ومتحف الجداريات بمدينة الجزائر. (Epigraphie indigène du musée archèologique d'alger, suivie d'un Musée Mural à Alger, Alger) والذي طبعه سنة 1874.

أما شارل بروسلار فقد درس الكتابات الأثرية بالغرب الجزائري حيث اهتم بدراسة مدينة تلمسان وهو العمل الذي تولى ترجمته ونشره الرزقي شرقي مؤخرا.[117] وقد جاءت مقالات بروسلار تحت عنوان "النقوش العربية بتلمسان". وهي دراسة مطولة نشرها بالمجلة الإفريقية عبر سنوات 1860 – 1862.[118] وتناولت شواهد وقبور سلاطين وأمراء بني زيان.

وإذا كان بروسلار قد كتب عن الغرب الجزائري فإن ماسكوراي قد تخصص في الكتابات الأثرية بالشرق الجزائري. فنشر عدة مقالات وصفية لمختلف لعدد من أثار المنطقة، منها على سبيل المثال:

1- آثار تيمقاد.[119] وقد تناولها في دراسة موسعة جاءت على خمس مقالات بالعدد المذكور من المجلة.

---

112 - Albert DEVOULX , "Notes historiques sur les mosquées et autres édifices religieux d'Alger", in **R. A**. N 04, 05 Année 1860, 1861.

113 - Albert DEVOULX , "Alger, Etude archéologique et topographique sur cette ville " in **R. A**. N 19 – 21, Année 1875 – 1877.

114 - Albert DEVOULX , "Les Edifices religieux de l'ancien Alger", In **R. A**. N 06 - 14, Anneé 1862 - 1872

115 - Albert DEVOULX , "Tombeau de Sidi Ahmed belhacen El-Ghomari" in RA, N 03, 1858.

116- Albert DEVOULX , " Epigraphie indigène du musée archéologique d'Alger", in **R.A**. N 16, 17, Année 1872, 1873.

117 – شارل بروسلار، مصدر سابق. وهو في 182 صفحة، ترجم مؤخرا في تلمسان عاصمة الثاقفة الإسلامية 2011.

118- Ch. Brosselard , "Inscriptions arabes de Tlemcen", in R. A. N 04 – 06, Année 1860 – 1862.

119 - Masqueray, "Les ruines de Thamgad", in **R. A**. N 20, Année, 1876.

2- سريانة، بلزمة، نقاوس، طبنة، طولقة، تقرير أثري.[120]

3- الآثار القديمة بخنشلة (ماسكيلا).[121]

هذا، إضافة إلى دراسة بول التي خصصها لآثار منطقة بشيلقة بالمسيلة تحت عنوان: آثار بشيلقة.[122]

تأسيس المؤسسات الأثرية مظهر من مظاهر خدمة التاريخ الاستعماري الفرنسي وتمجيده:

تأسيس المتحف الجزائري بباريس:

أمر بإنشائه الدوق دو دالماتي (De D'Almatie) بتاريخ 26 أوت 1845. بناء على اقتراحات من بيجو كان قد وجهها إلى القائمين على مجال البحث في 25 مارس 1844 توصي بحفظ الآثار التاريخية القديمة بالجزائر. وحفظ الآثار القديمة يعني عند الفرنسيين حفظ تاريخ الجزائر القديم وحفظ أدلته عليها. وتاريخ الجزائر القديم هو تاريخ الاحتلال الروماني والبيزنطي والوندالي، أي تاريخ المسيحية بالجزائر قبل ظهور الإسلام. وهنا يصبح هدف الحفظ واضحا وهو ابراز الطابع المسيحي للجزائر. وبناء على تعليمة بيجو أصدر دالماتي جملة من المراسيم تقضي بإنشاء المتحف المذكور، وتلحق به كل الآثار القابلة للنقل حفظا لها من الضياع. وذلك باعتبار أن فرنسا كانت تطمح إلى البقاء بالجزائر وخاصة منذ قرار الإلحاق الصادر بتاريخ 22 جويلية 1834 قبل أن يتأكد ذلك رسميا بدستور الجمهورية الفرنسية الثانية سنة 1848 الذي ينص على أن الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا".[123]

تأسيس الجمعية الأثرية: 1852:

من أجل التمسك برومانية الجزائر، ورغبة في المزيد من الكشف عن الآثار الرومانية بها، تأسست الجمعية الأثرية هذه بقسنطينة من طرف الكولونيل والمهندس العسكري كريّي (Creully). ورغم الصعوبات التي واجهتها في نشاطها البحثي، وهي صعوبات البحث الأثري إلا أنها بفعل طموحاتها المسيحية استطاعت أن تنشر كتابا شاملا (Annuaire) وصفه كبيرهم بيربروجير بأنه على قدر كبير من الأهمية.[124] وهو المعروف بالمجموع أو " Le Recueil".

120 - Masqueray, "Seriana, Le Bellezma, Negaous, Tobna, Tolga, Rapport archéologique" in **R.A.** N 21, Année 1877.

121 - Masqueray," Ruines anciennes de Khenchela (Mascula)", in **R.A**. N 23, Année 1879.

122 - A. Poulle, "Ruines de Bichelga (Zabi)", in **R.A**. N 05, Année 1861.

123 -Société Archéologique de la province de Constantine, (S. A. P. C) **Recueil des notices et des mémoires (R. N. M) de la S. A. P. C**, 1863 , Alger, Paris, 1863.

124 - Ibid, p 09.

ومن أجل الاستفادة من خبرات البحث التاريخي الأثري وتوظيفه في خدمة الجمعية الأثرية وخدمة الطابع المسيحي للجزائر الذي أراد علماء الحملة ابرازه ولو زورا وتزييفا للحقائق التاريخية جاء شارل تاكسيي (Charles Taxier) سنة 1847، قبل أن يضطر إلى العودة إلى فرنسا سنة فقط بعد ذلك بسبب أحداث ثورة 1848.[125] ومن ذلك الحين أصبحت الجمعية الأثرية بمدينة الجزائر، وكذا مثيلتها بقسنطينة وأعمالهما العلمية (Les Recueils) مفخرة علماء فرنسا بالجزائر في ابراز تأثيراتهم التي ألحقوها بالآثار الجزائرية حين ربطوها بالمسيحية وبالرومانية أو احياء التراث الأثري والتاريخي الذي تزخر به الجزائر وبعثه على أنه تراث مسيحي يعبر عن مسيحية الجزائر. مما جعل أعضاء الجمعية الأثرية بوهران يسارعون إلى العمل على تحقيق نفس الأهداف الاستعمارية للحملة فأعلنوا عن ميلاد جمعيتهم، وحددوا مسؤولياتها العلمية المتمثلة في دراسة ونشر التراث الأثري بإقليم مقاطعة وهران وانشاء مجموعة (Recueil) هي الأخرى لطبع الأعمال التي يقوم بها أعضاؤها. وهي أعمال تهتم بالآثار الرومانية. كما أعلن أعضاء الجمعية عن فصل علم الآثار عن الجغرافيا في نشاطاتهم العلمية :" سنعتمد هنا أسلوبا علميا جديدا في نشريتنا (Bulettin) سيصبح علم الآثار منفصلا عن الجغرافيا، سيصبح لكل منهما جزء خاص وترقيم صفحات منفصل عن الآخر مما يشكل جزئين مستقلين عن بعضهما".[126]

انشاء المفتشية العامة للآثار التاريخية والمتاحف الأثرية بالجزائر:

خدمة لأهداف الحملة وربط الجزائر بالحضارة المسيحية سهر الماريشال راندون شخصيا على تأسيس هذه المفتشية التي كان ميلادها سنة 1854 كمؤسسة جامعة لكل الآثار التاريخية بالجزائر وقد كان مهتما هو الآخر بتمسيح الجزائر أرضا وشعبا وطمس معالمها الحضارية والسياسية والجهادية ...، كما عزم على تأسيس هيئة علمية بمدينة الجزائر، فكان تأسيس الجمعية التاريخية الجزائرية التي أنشئت تحت رعايته. إذ كتب رئيسها بيربروجير في مقدمة المجلد الأول من المجلة الإفريقية:" تحت الرعاية السامية لرئيسنا الشرفي السيد الماريشال الكونت راندون الذي كان لنا الفضل في هذا العمل الثقافي، وبرعاية كل أعضاء الجمعية ستكون هذه المجلة منبرا متميزا... ستأخذ المجلة الإفريقية مكانها بين الصحف الجزائرية ستعمل على نشر ماهو متعلق بها من وثائق وكل ما من شأنه أن يقدم اضاءات على تاريخ الجزائر على مختلف مراحله. ستكون حقيقة مكتبة تاريخية لإفريقيا (يقصد بها الجزائر).[127]

---

[125]- Ibid, p 09.

1- SGAPO, BTAA, Juillet 1882, Oran, P 04. Et Société Archéologique de la province de Constantine, (S. A. P. C) **Recueil des notices et des mémoires (R. N. M) de la S. A. P. C**, 02 eme série, 01 Vol, 1867, Alger, Paris, 1867.

[127] - Ibid, 09, 10.

تأسيس جمعية العلوم والآداب والفنون:

بعدما كانت الصحف فقط هي الموجه الرئيسي للجانب المعنوي للسكان فإنه ومع سنة 1850 بدأت الكتب أيضا تمارس تأثيرها في عقول الجزائريين من خلال موجة صدور الكتب الفرنسية بالجزائر منذ بداية الأربعينيات ثم نشطت مع بداية الخمسينيات.[128] ولم يقتصر التأليف على الكتب التي تناولت التاريخ الروماني بالمنطقة فحسب وإنما صدرت أيضا بعض الكتب التي تتناول الوجود الاستعماري الفرنسي بالجزائر ومؤسساته.[129]

تأسيس الجمعية الجزائرية للفنون الجميلة:

تأسست سنة 1851 ولكنها لم تستمر طويلا بفعل صراعاتها الداخلية حيث ومنذ اليوم الذي تأسست فيه كانت منقسمة على نفسها إذ عقد اجتماعان الأول بالجنينة والثاني بالثانوية.

خاتمة:

تعتبر تجربة نابليون بونابرت الاستعمارية أثناء حملته على مصر تجربة فريدة من نوعها جمع فيها بين طموحاته الشخصية المتمثلة في الروح الإمبراطورية التي تميز به مؤسس الجمهورية الفرنسية الأولى، وبين ما اكتسبه من رغبة علمية تساعد فرنسا على بسط سيطرتها على العالم الحديث. عالم ما بعد النهضة الأوربية الحديثة، المنفتح على التنافس الاستعماري الذي يعتبر العلم والثروات أساس هام جدا لتحقيقه. وهي الرغبة العلمية التي اكتسبها من خلال تجارب سان سيمون في البحر المتوسط، وبنما، والمكسيك. حين حاول فتح قنوات، وشق طرق تجارية بحرية، لمزيد من قوة الاقتصاد الفرنسي.

ومنذ التحاقهم بمصر، عمل علماء جيش الحملة على تحقيق الأهداف التي سار من أجلها نابليون نحو مصر، وهي محاولة التأثير في المصريين لربطهم بالحضارة الفرنسية، وتغريبهم، وطمس معالم الحضارة الشرقية –بكل خصوصياتها– والقضاء على ملامحها فيهم. وقد حاول علماء الحملة استغلال تفوقهم العلمي والتقني، للتأثير في عقل الإنسان المصري. ومن أجل تحقيق هذه التأثيرات الاستعمارية عمل علماء الحملة على دراسة تاريخ مصر القديم، والحضارات المتعاقبة عليها عبر العصور، منذ الأسر الفرعونية خمسة وعشرين قرنا قبل الميلاد، وإلى غاية دخول الفرنسيين. معرّجين على ابراز ملامح الحياة المصرية على مختلف المجالات في السياسة والاقتصاد، كما في الاجتماع والثقافة... ومحاولين ربطها في الوقت نفسه بالفرعونية والرومانيبة والمسيحية من أجل تحقيق الفكرة الاستعمارية الهادفة إلى فصل مصر عن تاريخها العربي

128 - Société Géographie et d'Archéologie d'Oran, (S. G. A. O) **Observations Somaires sur les tracés de chemins de fer transsaharien par l'Est ou l'Ouest de l'Algérie**, Présentées par M. Bourlier, Oran, 1890.

129 - Ibid, p 07.

والإسلامي وتمهيدا لتقبل فكرة الاحتلال في أوساط المصريين بعد أن يقنعهم علماء الحملة، انطلاقا من الدراسات الموجهة لخدمة أغراض الحملة وأهمها الكشف عن الآثار المصرية القديمة بطابعها الفرعوني والروماني المسيحي دون الكشف عن الآثار الإسلامية، فيحاولوا اقناع المصريين بأن مصر فرعونية ومسيحية، وليست عربية إسلامية. وهذا ما كانت فرنسا تسعى إلى تحقيقه. لأنها لو نجحت في تحقيقه لتمكنت من البقاء في مصر بسهولة، بعد أن يندمج الإنسان المصري في الفرنسة ويؤمن بها طريقا وهوية له.

ولعل أهم انجاز لهم من أجل تحقيق هذا الهدف هو بناؤهم الصرح العلمي المتمثل في المجمع العلمي المصري، الذي اختص في دراسة كل ما تعلق بتاريخ مصر منذ ما قبل التاريخ. كما درسوا آثار مصر، وفككوا الكتابة الهيروغليفية من خلال دراسات شامبليون الذي أنجز أكبر انجاز علمي آنذاك كشف عن تاريخ مصر ودورها في الحضارة الإنسانية.

ولم يكن هذا هو الانجاز الوحيد الذي حاول من خلاله علماء الحملة ممارسة تأثيراتهم التغريبية في مصر، بل تركوا آثارا كثيرة كان لها الانعكاس الكبير على الحياة المصرية، مست جميع الأصعدة حتى قيل إن الحملة الفرنسية على مصر سنة 1798 كانت هي أساس دخول مصر إلى النهضة والتطور وأساس دخولها إلى العصر الحديث. ونحن لا نبالغ إذا قلنا أن الفرنسيين استثمروا في ضعف المماليك وأظهروا أنفسهم للعالم في ثوب ناشري الحضارة والعلم والتمدن، وحاولوا بذلك اخفاء حقيقتهم الاستعمارية التي كان علماؤهم يعملون على تحقيقها، لا في مصر فحسب، وإنما في العالم الشرقي كله. وقد عبّر عنها قائد التيار السانسيموني أونفونتان حين قال:" علينا بتوحيد العالمين، وربط العالم الشرقي بالغربي في صورة أن يكون الغرب فاعلا والشرق مفعولا به".

ما قلناه عن مصر ينطبق تماما عن الجزائر ولكن بصفة أشد وأعمق واكثر خطورة نظرا لبقاء المستعمر في الأولى ثلاث سنوات وان كانت نتائجه قد استمرت بعد ذلك، وبقائه في الثانية 132 سنة. فقد جاء نابليون بجيش من العلماء إلى مصر وقلّده خلفه دي بورمون فجاء هو الآخر بجيش من العلماء إلى الجزائر سنة 1830، ومن تأسيس اللجنة العلمية إلى انشاء موسوعة استكشاف الجزائر العلمي في 39 مجلدا، إلى دراسة الآثار والتركيز على الآثار الرومانية المسيحية واتبع والاد الإسلامية لتحقيق الهدف الاستعماري الأسمى وهو أن الجزائر رومانية مسيحية وليس إسلامية. إلى انشاء المجلة الإفريقية واللجان الأثرية والجغرافية ومجلاتهم، وانشاء المؤسسات الأثرية التي كانت كلها أدوات استعمارية تخدم نفس الأفكار التي ذكرناها عن أهداف فرنسا في مصر.